

# روايات عالمية للجيب 63

## جوهرة النجوم السبعة

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^RAYAHEEN^

تأليف : بـرام سـتوكر  
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق



## المؤلف



هذا هو لقائنا الثاني مع  
(برام ستوكر Bram stoker)  
كاتب الرعب الأشهر في العالم ..  
لا يُذكر هذا الاسم إلا وتُشب  
إلى الذهن روايته المحظوظة  
(دراكيولا) التي كتبها عام  
1897، إلا أن ستوكر في  
الواقع لم يبتكر شخصية الكونت  
مصاص الدماء من فراغ، بل

سبقه (دوما) الفرنسي بتقديم ذات الشخصية في مسرحية من  
فصل واحد، وقد قام ستوكر بمزج لاميا Lamia الإغريقية وليليث  
Lilith العبرية ورواية كارميلا التي كتبها (شريدان لوفاتو) (\*)،  
مع شخصية فلاد الوالاشي التي استقى معلوماته عنها من  
جلساته مع جاسوس مجرى اسمه أرمينوس فامبيرى . وهو  
الذي خلده في شخصية فان هلسنج عدو دراكيولا العتيد .

كما قلنا من قبل فإن الرعب القوطي هو رعب البرق  
والشمعدانات والكونتات غريبي الأطوار الغامضين المتشحين  
بالتسواد .. هو رعب القصور العتيقة والنفوس المعقدة والكونتيسات

(\*) قدمت في هذه السلسلة بالذات .

الشاحبات اللاتي يفقدن وعيهن عشر مرات في الساعة .. لغويًا نشأت الكلمة من لفظة Gothic التي تدل على طراز من البناء يميز المباني التي تدور فيها هذه القصص ، وكان أول من اصطك الكلمة ( هوراس والبول Walpol ) في قصته ( قلعة أوترانتو ) التي سوف تقرؤها يوماً - بإذن الله - في هذه السلسلة باعتبارها أول قصة رعب قوطي على الإطلاق ..

هذا هو الجو الذي سيطر ( ستوكر ) على أدواته ببراعة .. هنا يجب أن نوضح شيئاً : هناك قصص شديدة الإحكام عن السفر عبر الزمن ، خاصة مع كتابات ( أزيمواف ) و ( براندورى ) وأمثالهما ، كما أن أفلاماً مثل : ( العودة للمستقبل ) و ( المفنى ) قد قُلت الفكرة قتيلاً واستكشفت كل جوانبها ، لكن يظل ( ه . ج . ويلز ) هو أول من كتب عن آلة الزمن و ( هو بسبق حائز تفضيلاً ) .. نفس الشيء ينطبق على اختراع الهاتف مثلاً .. بالتأكيد لا يستطيع ( جراهام بل ) مبتكر الهاتف أن يستعمل تلك الأجهزة المعقدة التي نراها مع الشباب اليوم ، لكن يظل هو مخترع أول هاتف .. والشيء ذاته ينطبق على قصص ( ستوكر ) التي قد نجدها اليوم على شيء من السذاجة ، لكن من دونها لما جاءت قصص مصاصي الدماء الحديثة ولا ظهرت كاتبة مثل ( آن رايس ) ..

إبراهام ستوكر أو برام ستوكر هو كاتب مسرحي بريطاني ولد عام 1845 وتوفى عام 1912 . نشأ في دبلن وتخرج في جامعتها .. قضى عشرة أعوام كمخرج مسرحي ثم اتجه إلى لندن عام 1876 ليشارك في إدارة مسرح ليسيوم ثم تفرغ للكتابة .

من قصصه الشهيرة ( عرين الدودة البيضاء ) و ( مدفن الفئران ) و ( جوهرة النجوم السبعة ) و ( ممر الثعبان ) و ( ضيف دراكيولا ) وكلها خلدت اسمه كواحد من أعمدة الرعب القوطي .

لما كتبت قصة ( دراكيولا ) قد ترجمت مراراً - وكأنت ترجماتها موفقة جداً - فقد تجنبتها ، وقدمت من قبل ( عرين الدودة البيضاء ) (\*) ، أما في هذه المرة فأقدم ثانياً أشهر قصة له : ( جوهرة النجوم السبعة ) ، ومن عباءتها خرجت كل مومياء فرعونية ملفوفة بالأربطة في تاريخ السينما .. بدءاً بمومياء ( يونيفرسال ) التي لعب دورها ( كارلوف ) ، مروراً بمومياء شركة ( هامر ) في فيلم ( دماء من تابوت المومياء ) المخيف ، وانتهاءً بمومياء المؤثرات الخاصة CGI في فيلم ( برندان فريزر ) الشهير الذي شهدناه مؤخراً .. وبهذا يكون ( ستوكر ) هو الذي أدخل مفهومي مصاص الدماء والمومياء معاً إلى عالم الرعب ..

من المهم أن نعرف أن هذه القصة ( فكتورية ) جداً مليئة بالحوار

المنمق المرهق لقارئ اليوم ، وقد قمت بتخفيفه على كل حال .  
نُشرت عام 1903 بعد (دراكيولا ) بستة أعوام ، لكن الناشرين  
وجدوا أن نهايتها شنيعة أكثر مما يتحمل القارئ الفكتوري  
المتحفظ (مرهف الحس) ؛ لذا أرغموا (ستوكر) على كتابة  
نهاية أخرى مبسرة ، ويقال أحياناً إن هذه النهاية الجديدة كتبها  
كاتب آخر بعد وفاة (ستوكر) بخمسة أعوام . سوف تجد  
النهائيتين معاً في نهاية القصة ولك أن تقرر أيهما أفضل ...

و. (أحمد خالر)

## الفصل 1

### استدعاء ليلى

بدا كل شيء حقيقياً حتى أنني استطعت بصعوبة تصديق أنه  
حدث من قبل .. وبرغم هذا بدا كل ما يحدث كأنه شيء متوقع .  
هذه هي الطريقة التي تلعب بها الذاكرة حيلها سواء للخير  
أو للشر .. للسرور أو الألم .. للصلاح أو للويل .. لذا تجد أن  
الحياة لها مذاق حلو ومر معاً ، وما حدث في الماضي قد صار  
أبدياً ..

من جديد كف القارب الخفيف عن شق المياه الكسول وانزلق  
خارجاً من ضوء شمس يولييو الشرسة إلى الظلال التي ألقتهما  
غصون الصفصاف .. أقف أنا في القارب المتأرجح وهي تجلس  
صامتة تحمي نفسها بأصابع أنيقة من الأغصان المرتدة ..

ومن جديد بدا الماء خليطاً من البنى والذهبي تحت مظلة من  
أخضر شفاف .. بينما بدت الضفتان كالزمرد .. ومن جديد جلسنا  
في الظل بينما صخب الطبيعة ينسينا صخب العالم بهومومه  
وأفراحه ..

ومن جديد نسيت الفتاة تحفظها ، وراحت تحكي لي بطريقة  
حالمة ما تعانیه في حياتها الجديدة من وحدة .. وضعت حكمة

الأعوام التي لدى عند قدميها ، وقد بدا أنه لا دور لي في الأمر إنما أنا أنفذ ما يُعلى على ..

ومن جديد تضاعفت الثواني الضائعة ؛ لأنه في طلاس الأحلام تمتزج الموجودات وتجدد ذاتها .. تتغير .. لكنها تحتفظ بكيونتها .. وهكذا تدور الذكريات وتدور أثناء النوم ..

يبدو لي أنه ما من راحة مطلقة في هذا العالم .. حتى سكون الأحلام في الليل يبدده هدير الانهيارات ، وصوت الفيضان المباغت ، ورنين الجرس القادم من مكان ما .. مهما كان هذا الصوت فهو يبدد سحر جنتي .. فجأة انفتحت أبواب النوم على مصراعها ، وعرفت أذني سبب هذه الأصوات المزعجة .. هناك من يدق بلا توقف على باب بيت أحدهم ..

كنت قد اعتدت في مسكني بشارع (جيرمين) على الأصوات العابرة ، ولم أهتم بها كثيراً .. لكن هذه الضوضاء كانت مستمرة عنيدة يصعب تجاهلها .. إنها أصوات يصدرها عقل ذكي وثمة حاجة ملحة وراء هذا العقل الذكي .. لهذا غادرت الفراش ..

نظرت لساعتي بشكل غريزي .. إنها الثالثة صباحاً .. كان من الواضح أن هذا الضرب على باب بيتي أنا .. ومن الواضح كذلك أنه ما من أحد مستفيق ليرد .. ارتديت الروب والخفين ونزلت إلى الباب ..

فتحت الباب فوجدت سائساً أنيقاً لا يكف عن دق الجرس الكهربى ، بينما يواصل ضرب الباب بالأخرى .. ما إن رأني حتى توقفت الجلبة ، ولمست يده حافة قبعته بحركة لا شعورية ، وباليد الأخرى ناولني رسالة أخرجها من جيبيه ، وكانت عربية أنيقة تقف أمام الباب .. وثمة رجل شرطة يسلط مصباحه على الباب وقد شددت الضوضاء انتباهه ..

- « آسف يا سيدي على الإزعاج .. لكن أوامري كانت تقضى بأن أدق الجرس إلى أن يرد أحد .. هل مستر (مالكولم روس) يعيش هنا ؟ »

- « أنا (مالكولم روس) »

- « إذن هذا الخطاب لك يا سيدي »

تناولت الخطاب منه في فضول .. بما أنني محام لدى المحاكم العليا فقد كانت لي خبرات غريبة من حين لآخر ، لكن هذه كانت أغربها .. وارتب الباب ودخلت إلى الصالة لأنفحص الخطاب في الضوء الكهربى بالداخل .. كان بخط امرأة وقد بدأت على الفور تكلمني دون أية صيغة مخاطبة :

« قلت إنك ستساعدني لو أنني أردت ذلك ، وأعتقد أنك كنت جاداً فيما قلت .. أنا الآن في ورطة مخيفة ولا أعرف ممن أطلب العون .. هناك من حاول قتل أبى لكنه ما زال حياً والحمد لله ..

« تعال فوراً لو كان هذا بوسعك واغفر لى .. »

« مارجريت تريلونى »

إذن هى استعانت بى أنا .. أنا !... عندما حملت بها لم يكن هذا مجرد حلم بسيط ..

قلت للسائس :

- « انتظر !.. سألحق بك .. »

خلال دقائق كنت قد اغتسلت وارتديت ثيابى وسرعان ما كانت الخيول تحملنا عبر الطرقات .. وسألت السائس ونحن فى الطريق عن سبب استدعاء السيدة لى ، فقال :

- « لا أعرف يا سيدى .. فقط هم وجدوا السيد فى حجرته فاقد الرشد والملاءات غارقة فى الدم ، وثمة جرح فى رأسه .. مس (تريلونى) هى من وجدته .. »

أوقفت العربة ليخرج ويجلس جوار الحوذى ورجت أقلب القصة فى ذهنى .. هناك الكثير مما أريد معرفته ، لكن من اللياقة أن أعرف كل شيء من مس (تريلونى) لا من خدمها ..

وصلنا إلى طريق قصر (كنزنجتون) فتوقفت العربة أمام بيت عظيم على يسار الطريق ، وحتى فى ضوء الفجر الشاحب أركت فخامته .

قابلتني مس (تريلونى) ولم تكن على ما عهدته فيها من خجل .. بدت تسيطر على كل ما حولها بشكل راق .. برغم هذا كانت شاحبة كالثلج . كان الخدم جميعاً هناك ورجال شرطة ..

صافحتنى وعلى وجهها ابتسامة تعكس الارتياح ، وقالت :

- « عرفت أنك ستأتى »

وشعرت بأن يدها تذوب فى يدي .. كان هذا استسلاماً لاشعورياً لى .. وبرغم أنني لم أفهم سبب ما شعرت به من قشعريرة فقد عرفته فيما بعد ..

كانت على وشك تقديمى لمفتش الشرطة ، لكنه قال :

- « نحن متعارفان يا آنسة .. لا أعرف إن كان مستر (روس) يذكرنى لكن كان لى شرف العمل معه فى قضية (بركستون كويننج) .. »

- « بالطبع أذكر أيها المفتش .. وددت لو سمحت لى بالانفراد بمس (تريلونى) بعض الوقت ، فأنا أعتقد أنكم سمعتم ما عندها بالفعل . »

ومشيت معها إلى حجرة تطل على الحديقة فأغلقت الباب خلفى ، وسألتها :

- « قولى لى كل ما تعرفين مهما كان تافهاً .. »

قالت :

- « استيقظت على صوت لا أعرف كنهه .. فجأة وجدت نفسى يقظة وقلبى يدق بعنف .. غرفتى تقع جوار غرفة أبى ، وقد اعتدت سماع حركته فى غرفته لأنه يعمل لساعات متأخرة

جداً .. جربت مرة أن أتصحه بعدم السهر ولم أكررها .. عندما يتكلم أبى ببرود وأدب يصير مخيفاً .. أستطيع تحمله أفضل عندما يغضب ويثور .. ذهبت لباب غرفته فلم أسمع أى ضجة .. لكنى سمعت صوت جراً غريباً .. وقفت هناك فى الظلام خائفة .. خائفة من ماذا ؟ .. لا أدرى !

« فتحت الباب قليلاً فوجدت الظلام دامساً لكنى سمعت صوت التنفس الثقيل .. دخلت الغرفة وأضأت النور .. كان الفراش خالياً لكن الملاءات مبعثرة بما يدل على أن أبى كان قد دخل الفراش .. كانت فى وسط السرير بقعة حمراء كبيرة .. وجدت أبى على جاتبه الأيمن وذراعه الأخرى تحته كأن جسده قد ألقى هناك فى كومة .. وكانت بركة دم من حوله .. دم أحمر لامع مخيف .. كان راقداً جوار الخزانة الكبيرة بمنامته .. الكم الأيسر ممزق ليكشف عن نراعه .. واللحم ممزق حول سوار ذهبى حول معصمه .. لم أعرف قط أنه يلبس هذه الأشياء ..

« لم أضيع لحظة فى طلب العون لأنى خفت أن ينزف حتى الموت .. رفعت أبى إلى الأريكة وراحت مدبرة المنزل مسز (جرائت) - التى احتفظت بثباتها - تفتش عن مصدر الدم .. بدا واضحاً أن مصدره هى الذراع .. كان هناك جرح . جرح غير منتظم كالذى تحدثه السكين ولكنه شق .. لهذا ربطت مسز (جرائت) الجرح بمنديل وعقدته بعناية فتوقف النزف ..

« طلبت الطبيب والشرطة ، وشعرت بأتنى وحيدة ولا أعرف أحداً ، ففكرت فيك .. تذكرت عرضك الكريم لى فى ذلك القارب تحت أشجار الصفصاف ؛ لذا أرسلت لك السائس فوراً .. » نظرت لها ولم أرد أن أصارحها بما أشعر به ، لكنها فهمت .. فقد التقت عيناها بعينى ثم اتحدرتا واحمر خذاها ..

عندما خرجنا إلى رجال الشرطة ، قال لى المفتش :

- « لقد طلبنا مفتشاً من (سكوتلانديارد) .. الرقيب (دو) .. أنت تذكره يا سيدى من قضية التسمم فى (هوكستون) »  
- « أذكره جيداً .. ولكم أطريت ذكاءه .. إن له عقلاً يعمل ببراعة .. »

دق جرس الباب وبعد دقيقة ظهر رجل فى القاعة .. كان شاباً له ملامح النسر وله جبين عريض يدل على عمق التفكير .. قدمته لنا مس (تريلونى) :

- « د. (ونشستر) .. مستر (روس) .. المفتش (بولان) .. »  
اتحينا لبعض وسرعان ما بدأ عمله .. راح يضم الجرح بعناية ، ثم سأل الأنسة :

- « هل يمكن أن نزيل هذا السوار ؟ »

احمر وجهها ، وقالت فى خجل :

- « لا أدري .. لقد جئت مؤخراً فقط لأعيش مع أبي ، ولا أعرف إن كان هذا يضايقه أم لا .. »  
قال الطبيب :

- « ليكن .. فلنتركه ، لكن لربما احتجنا إلى إزالته فيما بعد .. ربما هو ذو أهمية معينة ما دام يتدلى منه هذا المفتاح الصغير .. »  
وتناول من جيبه عدسة مكبرة وراح يتفحص السوار ثم ناوله لـ ( دولان ) .. وقال :

- « تفحصه بنفسك .. هذا ليس سواراً عادياً .. الذهب وضع ليخرف ثلاث حلقات من الصلب .. واضح أن هذا السوار ليس للخلع بسهولة .. »

اتحنى المفتش ليجثو على ركبتيه ويفحص السوار بعناية ، ودون بعض الأشياء في مفكرته .. وأشارت للفتاة كي تتفحصه ، فتراجعت قائلة :

- « لا .. لو كان أبي يرغب في أن أراه لعرضه على نفسه .. »  
وكان الخجل والضيق واضحاً عليها لأنها لا تعرف أي شيء عن أبيها ، وإن قدرت أنها مسرورة لأنه ما من عين أنثى - أو أية عين أكثر ملاحظة وذكاء من عيون الرجال - تراها في هذه اللحظة .

هنا دق الباب من جديد ..

## الفصل 2

### تعليمات غريبة

اتجه المفتش ( نولان ) للباب ليفتحه ، وكان بطريقة طبيعية قد تولى مسئولية كل شيء هنا .. انفتح الباب فدخل شاب حليق الذقن طويل القامة له عينان سريعتا الحركة ، صافحه المفتش بحرارة . كان هذا هو الرقيب ( دو ) رجل سكوتلانديارد الذي استدعوه .. والذي راح يصغي لتفاصيل القصة بانتباه ..

ثم إنه طلب من الطبيب أن يكتب تفاصيل ما رآه بدقة ، وبحيث يستطيع أن يسلم التقرير لرؤسائه ..

قال الطبيب :

- « لا يوجد ما يمنع من أن أكتب التقرير الآن .. فقط هناك نقاط لابد من أن تلاحظها .. لا توجد جروح بالرأس تبرر غياب المريض عن وعيه .. على أن أفترض أنه تحت تأثير مخدر ما .. هذا الاحتمال مستبعد لأنني لا أجد علامات المخدرات - على الأقل التي أعرفها - وهذا على كل حال عسير لأن رائحة المومياءات تملأ المكان .. عطور مصرية وقار وناردين وصمغ وطيب .. ربما كانت رائحة الشيء الذي سبب هذا موجودة ضمن هذه العطور .. »



قال المفتش :

- « على الأقل كان بوسعنا أن نجد الأداة التي سببت جرح المعصم .. »

فكرت أنا في أن يكون الأب قد جرح نفسه وهو تحت تأثير العقار .. ولربما أخفى السلاح في الخزانة قبل أن يفقد وعيه ..

قال المفتش :

- « هذا مستحيل أو على الأقل عسير .. إن الدم يلوث ذراعه تمامًا ، بينما لا توجد قطرة دم واحدة على الخزانة .. »

قال الطبيب :

- « أرى أنه لا بد من ممرضة تعنى به ، وأنا أعرف واحدة مناسبة ، لكنني أقترح أن تبقوا معه إلى أن أحضرها .. عليك يا مس ( تريلوني ) أو مسز ( جرائت ) بالبقاء هنا جواره إلى أن أعود .. »

سأل الرقيب ( دو ) المفتش قبل انصرافه عائدًا لقسم الشرطة :

- « هل ( جوني رايت ) في قسمك ؟ »

- « نعم .. هل ترغب في أن يكون معك ؟ »

هز ( دو ) رأسه أن نعم ، فقال هذا :

- « سأطلب منه أن يلحق بك فورًا وأن يتلقى التعليمات منك .. »

طلب المفتش من مس ( تريلوني ) أن تسمح له بتفتيش مكتب أبيها لعل فيه شيئًا مهمًا ، ولدهشته وافقت على الفور .. راح يعبث هنا وهناك ثم أخرج خطابًا ، وقال لها :

- « هذا خطاب لك ! »

قالت في لهفة :

- « خطاب لي وأبي يحتفظ به ! »

وفتحته .. رحلت أرقب وجهها وهي تقرا .. كنت أرقب وجه المفتش في الوقت ذاته .. عندما انتهت من القراءة كنت أحمل شكًا قويًا بأبقيته في قلبي ، ومن ضمن شكوك المفتش كان ذلك الشك نفسه .. الشك في مس ( تريلوني ) ذاتها ..

لدقائق أبقت عينيها منخفضتين والخطاب في يدها وهي تفكر بعمق .. ثم ناولت الخطاب للمفتش بشيء من عدم الرضا ..

قرأه مرتين دون أن يتبدل شيء في وجهه ثم أعاده لها .. هنا ناولتني الخطاب ومسحة من حمرة الخجل على وجهها ..

تناولت الخطاب شاعرًا بسرور لهذه الثقة .. وبدأت أقرأ :

« ابنتي العزيزة :

« أريد أن تعتبرى هذا الخطاب تعليمات مطلقة لا تناقش ، فى حالة ما حدث شيء غير متوقع لى .. لو لم أكن فى غرفة نومى لحظة اطلاعك على هذا الخطاب ، فعليك أن تنقلينى هناك فوراً .. حتى لو كنت جثة هامدة فعليك أن تنقلينى هناك ..

« من هذه اللحظة ، وحتى أستعيد وعيى وأعود لإصدار تعليماتى ، أو حتى أدفن ، فعليك ألا تتركينى وحدى لحظة واحدة .. منذ الغروب حتى الشروق يجب أن يكون هناك شخصان على الأقل فى الغرفة معى .. ويجب أن تكون هناك ممرضة مدربة تلاحظ حالتى بدقة ..

« إن محامى (مارفين وجوكس ) لديهما تعليمات واضحة فى حالة موتى .. لكنى أنصحك بإبنتى - بما أنه لا أقارب لنا - بأن تجدى صديقاً مخلصاً يقيم فى الدار .. قد يكون هذا الصديق ذكراً أو أنثى ، لكن لا بد أن يكون معه مراقب آخر من الجنس المختلف ..

« لو كنت قد جرحت أو مرضت يا (مارجريت ) فلن تكون هذه حادثة عارضة .. لا يجب نقل شيء من غرفتى وأنا هنا أتحدث عن التحف .. لا بد من ترك كل شيء حيث هو .

« لو احتجت إلى شيء أو مال فإن مستر (مارفين ) سينفذ كل شيء ..

« أبيل تريلونى »

ارتجف قلبى لدى قراءة هذه السطور .. صديق !... يمكننى أن أكون هو .. ألم تطلب عونى وقت الضيق برغم أننى غريب بالنسبة لها تقريباً ؟ .. مجرد لقاء فى حفل راقص ومحادثة قصيرة فى قارب ..

لهذا ناولتها الخطاب ، وقلت :

- « أرجو أن تغفري لى .. لكنى أرغب بالفعل فى أن أقوم بهذه المهمة معك .. »

احمر وجهها ، وقالت :

- « وهذا سيسرنى بالتأكيد ، لكنى لا أرغب فى أن أكون أنثية .. أعرف أنك مشغول .. »

- « سوف أعرف كيف أدير شئون عملى بحيث أقضى الليل هنا »

هنا قال الرقيب ( دو ) إنه راض عن كونى سأتولى الأمر ، وطلب أن أبقى هنا إلى أن يتوجه إلى سكوتلاند يارد لأنه سيبحث عن شركة الخزائن كى تساعده فى فتح خزانة الأب التى تغلق بمفتاح وأرقام سرية ..

جلست وحدى مع مس ( تريلونى ) .. بدلتنى نظرة شعرت بعدها بأننى أفضل جلستى هذه على أن أكون ملكاً ..

كانت الغرفة غريبة فعلاً .. هي حجرة نوم مريحة مرتبة بعناية لكنها مليئة بتلك التحف المصرية القديمة .. كانت الغرفة هائلة الحجم لذا اتسعت للكثير من هذه الأشياء ..

دوى جرس الباب ، وبعد قليل دخل علينا د . ( ونشستر )  
ومعه امرأة شابة في ثياب الممرضات .. وقال لنا :

- « كان الحظ حليفي فقد وجدتها على الفور .. مس ( تريلوني ) ..

ها هي ذى مس ( كنيدي ) .. »

### الفصل 3

## المراقبون

أثارت دهشتي الطريقة التي تبادلت بها الشابتان النظرات ..  
ويبدو أن مهنتي علمتني أن أدقق النظر في انفعالات وتعبيرات  
وجوه الآخرين . كانت الفتاتان متناقضتين تماماً .. كانت مس  
( تريلوني ) رشيقة سمراء ذات عينيْن راعيتين شديتَي الاتساع  
ناعمتين كمخمل أسود .. النظر فيهما شبيه بالنظر في مرآة  
سوداء .. مزيج من الضعف والقوة النابعة من الروح فقط ..

على النقيض كانت الممرضة ( كنيدي ) ممثلة قليلاً .. قوية  
البنية لها يدان كبيرتان قادرتان .. لونها يشبه لون أوراق  
الخريف .. تلتصق عيناها البنيتان الذهبيتان وسط جلد ملهى  
بالنمش .. جبهتها مليئة بالتعقل والحكمة ..

عند العصر اتصلت بمسكني في شارع ( جرمن ) كي يرسلوا  
لي ثيابي وكتبي وأوراقى .. ذهبت للمحكمة وعدت لبيت  
( كنزنجتون ) في السادسة مساء فوجدتهم اختاروا لي غرفة  
كبيرة جوار غرفة المريض ..

لم ترتب أمور المراقبة لتلك الليلة .. أوت الممرضة للفراش  
لأنها كانت تعمل طيلة اليوم على أن تعود لنا عند منتصف

الليل .. د . ( ونشستر ) ظل معنا حتى العشاء لأنه سيتناولها هنا .. وظلت مسز ( جرات ) في الحجرة مع الرقيب ( دو ) ..  
سأل الطبيب مس ( تريلوني ) عندما دخلنا غرفة أمها :

- « هل لديكم أية حيوانات ذات مخالب في هذا المنزل ؟ ... حيوان يمكن أن يكون قد أحدث هذه الجروح في ساعد أبيك ؟ »  
ابتسمت ابتسامة حزينة ، وقالت :

- « لا .. أبى لم يكن يحب أى نوع من الحيوانات .. حتى قطى الوديع حسن التربية ممنوع من دخول هذه الغرفة »  
هنا سمعنا صوت خدش على مقبض الباب ، فلمعت عيناها واتجهت لتفتح الباب ، قائلة :

- « هذا هو ( سيلفيو ) العزيز .. قطى .. إنه يقف على قائمتيه الخلفيتين ، ويخدش المقبض متى أراد الدخول .. »

وحملت القط وعادت به لنا .. كان حيواناً رائعاً بحق .. قط فارسي ( شانشيلا ) رمادى يبدو أنه كريم المحند .. وله مخالب عظيمة ..

فجأة انتابه الذعر فأطلق مواء مفاجئاً ووثب إلى الأرض ، وركض إلى منضدة منخفضة في ركن الغرفة ، عليها وضعت مومياء حيوان .. وبدأ يزمجر ..

عادت لتحمله فحاول المقاومة لكن من دون عض أو خمش فقد بدا واضحاً أنه يحبها ..

- « أيها الشقى !.. لقد حنثت بعهدك مع أمى .. قل مصاء الخير للسلادة واخرج من غرفة أمى ! »

ومدت كف القط لى كأنما لأصافحها .. هنا لاحظت أن في كفه سبعة أصابع .. برغم أنه كان هادئاً يقر فقد غرس مخالباً في كفى .. فصحت :

- « ياه !.. إنها كالموسى ! »

دنا د . ( ونشستر ) منا ، وقال وهو يفحص مخالب القط :

- « أوه !! »

وكنت أسمع أنفاسه المتسارعة .. اتجه للمكتب فمزق قطعة من الورق النشاف ووضعها تحت كف القط وضغط .. تملص القط وأخرج مخالبه ، وكان هذا هو ما يريده الطبيب لأن المخالب مزقت ورقة النشاف ..

مد الطبيب يده وفك الضمادة عن ساعد الأب .. هناك كانت الجروح واضحة حمراء .. قرب ورقة النشاف منها .. وابتسم في انتصار .. كانت الآثار واحدة على الساعد وورقة النشاف !.. لم يعد أحد بحاجة لمزيد من التفسير ..

ساد الصمت الذى قطعته مس ( تريلونى ) قائلة :

- « لكن ( سيلفيو ) لم يكن هنا أمس ! »

- « هل أنت متأكدة ؟ »

- « متأكدة لكن أخشى أن إثبات هذا صعب .. إنه ينام فى سلة فى حجرتى ، وأنا متأكدة من أننى وضعته فى السلة ووضعت بطانيته عليه .. فى الصباح كان فى الوضع ذاته .. دعك من أن باب حجرتى كان موصداً عندما غادرتها أمس وكذا باب حجرة أبى .. عندما فتحت الباب كانت الإصابات قد تمت .. »

قال الطبيب بعد تفكير :

- « الحكم بعد المداولة : مستر ( سيلفيو ) برىء ، ونحن نعتذر له .. »

ثم قرر تغيير الموضوع ، فقال :

- « رأيتاه يتوتر عندما رأى مومياء هذا الحيوان .. هل يتوتر مع كل الموميאות التى يعج بها المنزل ؟ »

- « لا .. وربما كان السبب أن هذه مومياء قط .. »

قال الطبيب فى اهتمام :

- « هذه مومياء معتنى بها .. وإننى لأرغب فى أن تسمحى لى باستعمال مستر ( سيلفيو ) فى تجربة ، لكنه لن يكون المعتدى عليه ، بل سيكون المعتدى .. »

- « لا أفهم .. »

- « أريد أن أعرف ما سيقوم به نحو هذه المومياء لو سمح له بذلك .. سوف نقوم بعملية استبدال لهذه المومياء .. من ثم نعرف هل ( سيلفيو ) يكره كل موميאות القطط أم هذه بالذات .. »

هنا جاءت الممرضة إلى الحجرة .. سيدة قوية الشخصية مسيطرة ، ساعدنى دخولها فى السيطرة على الهواجس التى غمرتنى فى جو الغرفة المثير للتوجس ..

كنت قد بدأت استشعر نوعاً من المخاوف يحوم حول المريض ، حتى صار جزءاً منها .. لكن دخول هذه السيدة أعاد له حجمه الطبيعى كمريض تعنى به .. وسرعان ما فقدت الغرفة ما تبعته فى من رعب ..

لكن الشيء الوحيد الذى احتفظ برعبه كان رائحة المومياء .. لو أنك وضعت مومياء فرعونية فى إناء زجاجى لا يدخله الهواء فإن رائحتها ستظل تزكم أنفك .. برغم أنه يفترض أن أربعة آلاف سنة كفيلاً بأن تزيل رائحة أى شيء .. تلك الروائح خالدة وأسرارها مجهولة لنا بالكامل .. لقد أجهدت خيالى وأتعبت أعصابى بحق ..

قررت أن أفعل شيئاً ؛ لذا غادرت المنزل وقصدت صيدلية قريبة لأبتاع جهاز استنشاق مما يستعمله مرضى الربو ..

كان الطبيب قد انصرف ورتبت مس ( تريلوني ) أن يتواجد يوماً رجل وامرأة في حجرة المريض .. لذا جلست على أريكة في حجرتي وطلبت من أحد الخدم أن يناديني قبل منتصف الليل .. وسرعان ما غبت في النوم ..

عندما صحوت احتجت لبعض الوقت كي أعرف أين أنا .. لقد أفادني النوم لبعض الوقت .. اتجهت لغرفة المريض فوجدت الممرضة جالسة على الفراش هادئة متيقظة ، وعبر الغرفة يجلس المفتش في الظل .. لم يتحرك إلا عندما دنوت منه ، فقال في همس متعب :

- « كله تمام .. لم أنم .. »

وهو شيء لا لزوم له ما لم يكن يشعر بأنه غير حقيقي .. أخبرته أن بوسعه أن يخلد للنوم حتى أوقظه في السادسة صباحاً .. اتجه للباب ثم مال يهمس لي :

- « إن نومي خفيف وأحتفظ بالمسدس معي .. لن أشعر بهذا الخمول إذا ابتعدت عن رائحة المومياء هذه »  
إذن هو كذلك جرب تأثير تلك الرائحة الذي يسبب الخمول !

لاحظت أن الممرضة تضع في حجرها جرة عطر صغيرة مثقبة .. لا بد أنها شعرت ببعض ما شعرت به .. اتجهت لذات المقعد في الظل حيث ظهرها لي ، وذلك كي لا تلاحظ جهاز الاستنشاق الذي أحمله .. وقد قمت بتثبيتته على أنفي واتخذت وضعاً مريحاً ..

مر وقت طويل على وأنا أفكر . أفكر في الرائحة الفرعونية .. حقاً لا أدرى إن كنت نمت أم لا .. لعلى لمحت شيئاً ولعلني لم أفعل ..

ظهر الممرضة لي وهي هادئة ساكنة .. كل شيء هادئ ساكن .. كأن المشهد لا ينتمي لعالم الواقع .. الضوء خافت جداً .. فقط غطاء الأباجورة الأخضر له لون ياقوتة تتلألأ في ضوء القمر ..

خيل لي أن هناك صوتاً خافتاً كمواء قط .. صوت معدني كمعدن يضرب معدناً .. فجأة عدت لحواسي ..

لقد دوت صرخة في مسمعي وغمر الضوء الحجرة .. صوت طلقات مسدس .. واحدة .. اثنتان .. ودخان أبيض يملأ الغرفة ..

عندما استعدت الرؤية كدت أصرخ أنا نفسي من هول ما رأيت ..

## الفصل 4

### المحاولة الثانية

كان المشهد الذي رأيته مفرغاً كأنه حلم داخل حلم .. كانت الغرفة كما كانت إلا أن الظلال اختفت وسط عديد من الأضواء .. جوار الفراش الفارغ تجلس الممرضة كما رأيتهما آخر مرة ، وتلك الوسادة خلف ظهرها لتبقيه مستقيماً لكن عنقها متصلب كأنها في نوبة صرعية .. لم يكن هناك تعبير على وجهها .. لا رعب .. لا شيء .. كانت مجرد وجود سلبي يتنفس لكنها لاتعى شيئاً من العالم حولها ..

كانت الملاءات مبعثرة كأن جسد النائم قد جرّ من فوقها ، وعلى الأرض بعض الضمادات التي ضمّد بها الطبيب الذراع .. كلها موجودة في ذات الموضع الذي وجدناه أمس جوار الخزانة .. لكن هناك شيئاً مخيفاً جديداً ..

ثمة محاولة لقطع الذراع عند المعصم لأخذ ذلك السوار .. هناك سكين (كوكري) من ذلك الطراز الذي يحارب به رجال القبائل (الجوركاس) في جبال الهند .. لا بد أنها انتزعت حيث كانت معلقة على الجدار .. لكن عملية القطع توقفت فلم يتمزق الذراع لكن اللحم تمزق ، وكان الدم ينزف بغزارة ..

جوار الأب كانت مس (تريلوني) تجثو وقد غرقت ثيابها في الدم .. ووسط الغرفة كان الرقيب (دو) يعيد حشو مسدسه .. كانت عيناه حمراوين ثقيلتين ، وبدا شبه واع لما يدور حوله ..

وفى كل مكان كان الخدم يحملون الأضواء .. ما إن دنوت من مس (تريلوني) حتى صرخت ووقفت تشير لى .. الآن أفهم أنني بدوت مرعباً بجهاز التنفس على وجهي وشعري منتثر وفي هذه الإضاءة ..

تنبهنا أخيراً فوجدنا مهمتنا الأولى هي أن نوقف الدم المتدفق من ذراع الأب .. وبرغم خطورة الأمر فقد سرني لأنه دلني على أن الرجل حي ..

لم يمر درس أمس دون جدوى ، وسرعان ما كنا نلف رباطاً ضاغظاً حول ذراع الرجل بينما هرع خادم ليحضر الطبيب .. فلما اطمأنا إلى حال الرجل أولينا انتباهنا للممرضة ..

كانت مسز (جرانت) قد أخذت سيدتها لتبديل ثيابها وتغسل يديها .. وحينما علت لنا مس (تريلوني) كانت أهدأ .. لكنها وجهت لى الكلام على الفور :

- « كنت نائماً بينما أبى في خطر ! حسبك ساهراً تراقب .. »

شعرت في لومها عدالة تؤلم ..

قلت لها :

- « هناك شيء ما أكثر من مجرد النعاس في هذه الحجرة ..  
ولربما لو لم أتخذ الحديقة لصرت مثل الممرضة هنا .. »

نظرت إلى الممرضة ، ثم قالت :

- « سامحني .. إنه الخوف والتوتر فلم أقصد أن أكون فظة ..  
إنني خائفة مما قد يحدث في كل لحظة .. »

- « لا تعتذري .. أنا كنت مكلفاً بالحراسة ونمت .. لا شك في  
هذا .. لكن أقول بوضوح إنني لم أتعمد ذلك وقاومته .. ربما  
نفهم السبب فيما بعد .. ولكن أود لو فهمت ما مر بك »

قالت :

- « نفس الشيء تقريباً .. صحوت من نومي شاعرة أن أبي في  
خطر .. جريت إلى حجرته وكنت مظلمة .. ثم استطعت أن أراه على  
الأرض جوار الخزانة .. لا بد أنني فقدت صوابي للحظات .. »

هنا نظرت إلى الرقيب الذي كان يعبث في مسدسه بذهن مشتت :

- « وأنت أيها الرقيب .. ما الذي أطلقت الرصاص عليه ؟ »

نظر حوله ، ثم قال :

- « ألا ترى أنه من الأفضل أن ينصرف الخدم لعملهم ؟ سيكون

هذا أفضل للكلام .. »

أشرت للخدم كي ينصرفوا .. فلما رحل آخرهم واصل الرقيب  
الكلام :

- « دخلت للنوم والمسدس تحت وسادتي .. وأعتقد أنني صحوت  
على صرخة .. كان رأسي مثقلاً بفعل الإرهاق .. هرعته للحجرة  
فكانت مظلمة ما عدا الضوء القادم من الخارج عبر النافذة ..  
كانت مس (تريلوني) على الأرض جوار أبيها وهي تصرخ ..  
هنا بين المنام واليقظة خيل لي أن شيئاً يتحرك بيني والنافذة ..  
ومن دون تفكير أطلقت الرصاص مرتين على الشيء .. »

- « وما هو هذا الشيء ؟ »

كنت أشعر باللفة في الموقف كئني أستجوب شهود المحكمة ..

- « لا أعرف .. شعرت بوجود شيء لكن ليست عندي أنى

فكرة عن كنهه .. »

رحت أبحث عن الرصاصتين في الغرفة في اتجاه الإطلاق ..  
واحدة منهما هسمت زجاج خزانة فيها بعض تلك التحف الغريبة ،  
ومن للزجاج المهشم اتبعثت تلك الرائحة العظرية كأقوى ما يكون ..  
هذا هو مصدرها إذن .. لاحظت أن التحف متراصة في شكل  
دائري حول تمثال يمثل إلهاً له رأس صقر ، لكن الظروف لم  
تسمح لي بالتدقيق أكثر ..



أزحت الستائر فأثار دهشتي أن ضوء الفجر الخافت تسلك ليغمر الغرفة .. من الصعب أن أصف كم بدت الحجرة مخيفة في هذا الضوء الشاحب الرمادي .. إن النافذة شمالية لذا لم يدخل إلا اللون الرمادي دون لمسة اللون الوردى التى لا تراها إلا تجاه الشرق .. لا شيء من نعومة الليل ولا من نضارة النهار ..

جاء الطبيب ولم يسأل عن شيء إذ رأى وجوهنا .. انكب على الجرح وقد ارتسمت علامات الخطورة على وجهه .. لم يتكلم إلا بعد ما تم تضميد الجرح .. سأل :

- « ماذا عن الممرضة (كنيدى) ؟ »

- « لا أدرى .. وجدتها على هذا الوضع فى الثانية صباحاً عندما دخلت الغرفة ، ومنذ ذلك الحين لم نحركها .. حتى طلقات مسدس الرقيب لم توقظها .. »

فكر قليلاً ، ثم قال :

- « أرى أن ننقل الممرضة لغرفة أخرى .. »

أصدرت مس ( تريلونى ) تعليماتها لمسز ( جرانت ) كى تعد غرفة مناسبة وتستدعى رجلين يحملان الممرضة ..

عاد الطبيب بعد فحص المريضة ليقول إنه يرى أن هذه الغيبوبة شبيهة بغيبوبة الأب .. لكن الممرضة تتحسن

واستجابتها تزداد ، وقد قل تخشب عضلاتها .. ومن المرجح أن تفيق ..

- « وكيف .. » - سألته - « لا نجد تخشباً لدى المستر ( تريلونى ) ؟ »

- « لا أعرف السبب .. إن الحالة محيرة وسوف نحتاج إلى أيام حتى نفهم ما حدث فعلاً .. »  
كان يوماً طويلاً مرهقاً ..

لكن حالة مس ( كنيدى ) تتحسن باستمرار ، وقد بدت أقرب للنوم منها إلى الغيبوبة .. وقد جاء الطبيب بممرضتين واحدة لتعنى بمس ( كنيدى ) والأخرى لتعنى بمستر ( تريلونى ) ..

رتبنا نظاماً محكماً للسهر ، بحيث يكون هناك من يراقب المراقبين ، وهكذا لا يتسلل النعاس إلى أحدهم من دون علم الآخرين .. طلب د . ( ونشستر ) أن يبتاع جهاز استنشاق كالذى استعملته أمس وكذا مس ( جرانت ) ..

وجاء الليل .. جاء ونحن فى غاية التوتر والتوجس ..

## الفصل 5

### تعليمات أكثر غرابة

في الحادية عشرة والنصف خرجت من غرفتي لأجد كل شيء على ما يرام في غرفة المريض .. الممرضة تجلس جوار الفراش والطبيب على الأريكة متنبهاً ، وإن بدا مضحكاً بجهاز الاستنشاق على وجهه .. فلما رأني نهض ، وقال إنه سيعود في الصباح ..

جاء الرقيب ليأخذ المقعد الذي كان يحتله الطبيب ، وظلت مهمتي أنا أن ألقى نظرة على الغرفة من حين لآخر . في الثانية عشرة جاءت مس ( تريلوني ) وجهاز الاستنشاق في يدها لتسلم مهمة المراقبة وكذا فعلت أنا بينما نهض الرقيب والممرضة ..

لم يغلبني النعاس قط ، وكذا ظلت مس ( تريلوني ) متيقظة ..

دقت الساعة معلنة الثانية صباحاً ، هنا دهمني شعور غريب .. استطعت أن أرى من حركة مس ( تريلوني ) أنها تشعر بشيء غريب بدورها .. بدأ قلبي يدق بعنف .. وشعرت بخوف .. كأن هناك من دخل الغرفة معنا ، وكان هناك نكاء ما بقربي ..

ثمة شيء يخدش ساقي . مددت يدي لأصطدم بفراء ( سيلفيو ) .. أطلق فحيحاً وخدش يدي .. شعرت بالدم يسيل على يدي فنهضت .. مس ( تريلوني ) أيضاً نهضت .. كان صدرها يعلو ويهبط

في انفعال .. وحينما لمستها لم يبد أنها لاحظتني .. كانت يداها ممتدتين أمامها كأنما تدفع خطراً ..

لم يكن هناك وقت أضيعه .. أخذتها تحت ذراعي وركضت إلى الردهة صارخاً :

- « النجدة ! »

عل الفور ظهر المخبران والخدم ومسر ( جرائت ) .. وضعت مس ( تريلوني ) بين ذراعي هذه الأخيرة وعدت للغرفة .. أضأت النور الكهربى وكان هذا هو الوقت المناسب ، فجوار الخزانة حيث وجدناه في الليلتين السابقتين كان مستر ( تريلوني ) وذراعه المضمدة مكشوفة ..

جواره كانت مدية فرعونية تشبه ورقة الشجر .. وكانت مغروسة في الأرض حيث كتلت السجادة للملوثه بالدماء فيما سبق ..

فتشت أنا والرقيب ( دو ) الغرفة فلم نجد ما يريب ، بينما تعاون الخدم على إعادة المريض إلى الفراش .. عادت مس ( تريلوني ) لتهمس لى :

- « شعرت بأنى على وشك فقدان الوعي .. لا أعرف السبب لكننى كنت مذعورة .. »

ثم نظرت ليدي ، وهتفت :

- « لكناك جريح ! »

حقاً كنت قد نسيت الخدش الذي أحدثه القط في يدي ..  
وسمعتها تقول :

- « لكنها ذات الجروح التي في ذراع أبى ! »

ثم نظرت إلى أبيها وعقدت جبينها ، وقالت :

- « ألا ترى أن نطلب (كونسلتو) ؟ د . (ونشستر) بارع ذكى  
لكنه حديث السن ، ومن الواضح أن حالة أبى تحيره .. لربما  
كان هناك أناس قد درسوا الموضوع بشكل أعمق .. »

هنا وصل د . (ونشستر) .. وسألنى عما حدث بالضبط  
فحكيت له كل تفصيل .. هنا التفت إلى مس (تريلونى) ، وقال :

- « أرى أن نطلب مشورة أطباء آخرين .. »

كان هذا ما ترغب فيه ؛ لذا وافقت على الفور مما أثار دهشته ..  
ثم سألته :

- « هل تقترح اسماً معيناً ؟ من أكفأ طبيب فى لندن لهذه  
المهمة ؟ »

- « ليس فى لندن بالضرورة .. إن طبيب المخ يولد طبيب  
مخ ولا يمكن أن تصنعيه .. بعد هذا يحسن موهبته بالدراسة ..  
أفضل طبيب أعرفه حالياً هو (شيونى) اليابانى لكنه جراح ..

هناك (تسامر فست) و(فيلو) من باريس .. لكنى أفضل طبيباً  
اسمه (فريير) من (كنجز كولدج) هو من أفضل من عرفت  
وأقدرهم على مزج النظرية بالعمل .. ومن المؤسف أنه سيفقد  
براعته مع تقدمه فى العمر .. »

- « إن علينا به فى الصباح .. هل هو (سيد) أم (دكتور) ؟ »

- « لندعه سير (جيمس فريير) . سوف أذهب له بنفسى  
صباحاً .. »

ثم نظر ليدى ، وقال :

- « لربما كان على أن أضمد يدك .. إن جروح الحيوان قد  
تكون خطيرة .. »

وراح يتفحص يدي بعدسة مكبرة ويقارنها بقطعة النشاف التى  
تحمل مخالف (سيلفيو) ..

فى العاشرة صباحاً استعادت الممرضة (كنيدى) قواها وصار  
بوسعها أن تجلس وتتكلم .. لكن ذاكرتها ظلت مختلطة بصدد ما  
حدث البارحة ..

فى الحادية عشرة جاء سير (جيمس فريير) .. كان رجلاً  
يجنب الاحترام والانتباه ..

كانت عيناه الخارقتان وفمه الملىء بالتصميم وحاجباه العظيمان  
أشياء تفرض الطاعة على الفور ..

دخل حجرة المريض ففضى وقتاً طويلاً هناك ، ثم فحص  
المرضة ( كنيدي ) .. بعد هذا انفرذ بالطبيب في غرفة المكتب  
وتعالى صوت الرجلين في مناقشة حامية ..

بعد قليل خرجا .. وجه سير ( جيمس ) لا يدل على شيء كأنه  
وجه أبي الهول .. يتبعه د . ( ونشستر ) صاحب الوجه ..

كان سير ( جيمس ) موافقاً على أسلوب د . ( ونشستر ) في  
العلاج ، لكنه طلب بإلحاح أن ينقل المريض من الحجرة أو تنقل  
الموميאות خارجها ؛ لأن هذه بيئة غير صحية .. حتى لو كانت  
هذه رغبة المريض ذاته .. من العسير أن نحيط المريض بهذه  
الأشياء الشنيعة ويتنفس الهواء المنبعث منها .. لقد رأينا تأثير  
هذه الرائحة على أعصاب الناس ..

- « أنا أصرُّ على هذا الشرط ولن أعود إلى هنا ما لم يتم  
تحقيق مطلبى .. لم يأت بعد اليوم - كما أتمنى - الذي يتبادل فيه  
المتحف البريطاني ومستشفى سانت توماس مكاتيهما .. شكراً  
لكم وأرجو أن تنفذوا ما طلبت .. »

لما تلتشى صوت حوافر خيول عربته قال د . ( ونشستر ) :

- « أنا موافق تماماً على ما قال .. لكنك أدرى بظروف أبيك  
ومدى أهمية ما طلبه منك .. »

قالت مس ( تريلوني ) :

- « سوف أكتب خطاباً لمستر ( مارفين ) المحامي أسأله إن  
كان يوسعى عدم تنفيذ مطلب أبي .. »

هكذا كتبت الخطاب وأرسلته .. ومرت ساعة من الزمن ، إلى  
أن وصل مستر ( مارفين ) المحامي إلى الدار ..  
لم يكن راغباً في فتح الموضوع أمامي ، لكنها قالت له في  
تصميم :

- « مستر ( روس ) يعرف عن الموضوع قدر ما أعرفه أنا ..  
إنه صديق جديد لكنى أريده أن يكون على علم بكل التفاصيل .. »  
قال المحامي :

- « تعليمات المستر ( تريلوني ) واضحة .. ممنوع نقله من  
الغرفة ما دام حياً وممنوع نقل أي شيء من محتوياتها ..  
التعليمات قوية ولا يمكن أن تجد فيها ثغرات .. دعيني أؤكد لك  
أنتى لم أر وصية بهذا الوضوح من قبل ، وحتى أنا لا أقدر على  
التساهل في بعض فقراتها .. أمل أن تفهمى هذا وتفهمى أنتى  
أرغب في عمل أي شيء في مقدورى ... إن أبك لديه أسبابه  
التي لم يكشفها لى .. آسف أن أضايك لكن لا مفر من هذا ..  
سأكتب لك عنوان بيتى وعنوان النادى حيث أتواجد ليلاً .. يمكنك  
طلبى فى أى وقت .. »

وصافحنا وانصرف ..

هنا دخلت مس (جرانت) الغرفة وقد بدا القلق على وجهها ،  
وقالت :

- « يوسفنى أن أقول يا آنسة إن الخدم - كلهم ما عدا اثنين - يريدون ترك المنزل اليوم .. وقد ناقشهم رئيس الخدم فى الأمر ، وهم يريدون أن يسوا الحساب اليوم حتى لو تنازلوا عن بعضه .. المهم أنهم يريدون الرحيل اليوم .. »

- « ما السبب ؟ »

- « لا سبب يا آنسة .. لكن الخادمة المسئولة عن الطابق العلوى تقول إنهم يعتقدون أن البيت مسكون .. »

كان الأخرى أن نضحك لكننا لم نفعل .. بدا لى كأن أفكارى صار لها صوت .. لكن لم يكن هذا كل شيء .. كانت هناك خاطرة أكثر سوادًا وجهامة تريد الإفصاح عن نفسها لكنها لا تستطيع ..

.. ثم نبتحت عن خدم آخرين .. لن يزورنا أحد فى فترة مرض أبى هذه ؛ لذا يمكننا أن نعيش مع عدد الخدم الباقين .. فليبق ثلاثة فقط .. ولتعلمى أننى - برغم أننى لا أعتبرك من الخدم على الإطلاق - سأدفع لك ضعف الراتب كالأخرين .. »

غادرت المرأة المكان ، وسمعتها تهمس وهى تنصرف :

- « لا عجب أن يكون البيت كقصر الملك إن كانت سيدته أميرة ! »

## الفصل 6

### خسارة المسافر

استعادت مس (تريلونى) روعها بسرعة فقالت للمسز (جرانت) :

- « ليكن .. دعيمهم يرحلوا .. لقد كانوا خدمًا مخلصين وسبب رحيلهم ليس معتادًا .. أما من سيقون فلدفعى لهم ضعف راتبهم .. »

كانت مديرة البيت متضايقًا من الطريقة المهينة التى يقدم بها الخدم إنذارهم .. وقد شعرت بأن هذا غير عادل بعد المعاملة الطيبة التى يلقونها هنا ..

قالت مس (تريلونى) :

- « لن نبحث عن خدم آخرين .. لن يزورنا أحد فى فترة مرض أبى هذه ؛ لذا يمكننا أن نعيش مع عدد الخدم الباقين .. فليبق ثلاثة فقط .. ولتعلمى أننى - برغم أننى لا أعتبرك من الخدم على الإطلاق - سأدفع لك ضعف الراتب كالأخرين .. »

غادرت المرأة المكان ، وسمعتها تهمس وهى تنصرف :

- « لا عجب أن يكون البيت كقصر الملك إن كانت سيدته أميرة ! »

أميرة ! نعم .. هذه الفكرة راقت لى وتذكرت كيف رأيتها أول مرة فى ذلك الحفل الراقص فى ميدان ( بيلجرىف ) .. ملكة .. فارعة الطول نحيلة تتمايل وتتموج كالسوسن أو اللوتس . شعرت بالرهبة والهيبة تجاهها فلم أدرك كم هى ظريفة طلقة الطباع إلا عندما جمعنا ذلك القارب فى النهر .

\*\*\*

مرت الليلة بخير .. لم تنضم لنا مس ( تريلونى ) فى السهر لأن جهازها العصبى صار فى قمة الإرهاق وكانت فى حاجة إلى نعاس عميق بعيداً عن هذه الأحداث ..

لم يتحرك المريض طيلة الليل ، ولولا تنفسه وارتفاع صدره لحسبته قد من رخام ..

وفى الثامنة صباحاً لحقت بنا مس ( تريلونى ) وقد أعاد لها النوم نضارتها .. عاد نوع من اللون إلى خديها اللذين كانا شاحبين بشكل مفرغ يتناقض مع حاجبيها الأسودين وشفثيها الحمرالوين .. أصلحت الوسادة تحت رأس أبيها برقة حركت مشاعرى ..

نمت نوماً طيباً وتناولت طعام الغداء ..

استوقفنى صوت رجل لحوح مزعج يتكلم مع خادم اسمه ( موريس ) على الباب .. كان ( موريس ) خادماً عادياً ثم ترقى بعد رحيل الآخرين إلى رئيس خدم ..

بصعوبة استطعت تمييز ما يقول الرجل لأنه كان يتكلم بصوت عال واندفاع :

- « أقول لك إنه يجب أن أرى مستر ( تريلونى ) .. ما جدوى أن تقول إننى لا أستطيع ؟ جنتك فى التاسعة والثانية عشرة والثالثة وفى كل مرة تقول لى إنه فى الفراش وإنه لا يقابل أحداً .. دعنى ألقى مس ( تريلونى ) إذن .. »

- « لا أستطيع أن أزعجها .. »

- « بل لابد أن تزعجها .. لابد من أن تزعج أحداً .. لقد تحملت الكثير من الخدم الذين لا يملكون سوى كلمة ( لا ) .. زرت بيوتاً بدا لى أن دخول القبور أسهل من دخولها ، وبدا لى أن سكانها موتى سكان القبور .. لم أعد أتحمّل أكثر .. فهل ترك مستر ( تريلونى ) تعليمات واضحة بعدم السماح لى بالدخول ؟ »

أجاب الخادم فى تهذيب :

- « آسف سيدي .. إن لدى أوامرى وعلى أن أنفذها .. ربما لو رأيت أن تترك رسالة لمس ( تريلونى ) .. »

كانت الإجابة أكثر هدوءاً :

- « أيها الرجل الطيب . لا مشكلة لى معك شخصياً .. لكن الوقت ضيق ولا يمكن أن أضيع دقيقة .. وأعرف أن سيدك

سيكون غاضباً أكثر منى مائة مرة لو عرف سر هذا التأخير ..  
رباه ! ألا يوجد شخص عاقل أكلمه فى هذا البيت ؟ أو شخص  
ذو سلطة إن لم يكن عاقلاً ؟ »

هكذا لم يعد هناك شك فى صدق الرجل ولهفته .. هكذا قلت  
للخادم :

- « أخبر مس ( تريلونى ) أن هناك رجلاً يريد رؤيتها بالباح .. »

سألنى الرجل وأنا أقتاده إلى المدخل :

- « شكراً لك .. هل أنت السكرتير ؟ »

- « لا .. أنا صديق الأسرة .. »

- « لك الشكر إنن .. اسمى هو ( كوربك ) .. وددت لو أعطيتك

بطاقة لكنهم لا يستعملون البطاقات من حيث جنت »

كان رجلاً قصير القامة ممتلئاً .. تجعد جلده بشدة مما دلنى  
على أنه كان بديناً ثم فقد الكثير من اللحم والشحم .. لونه يوحى  
بالشمس .. ربما فى المناطق الحارة أو الشرق الأقصى ..  
وفكرت فى أنه رجل مناسب للصحراء ..

جاءت مس ( تريلونى ) فلاحظت أنه دهش كثيراً وإن تماسك ..  
قررت فيما بينى وبين نفسى أن أعرف فيما بعد سبب هذه  
الدهشة ..

قالت مس ( تريلونى ) للرجل :

- « أعتقد أنك لا تملك فكرة عن مدى خطورة حالة أبى .. إنه  
فى غيبوبة منذ ثلاثة أيام ، وأنا لا أعرف إلا القليل عنه لأننى  
جئت هنا لأقيم معه منذ عام .. يمكنك الكلام أمام مستر ( بروس )  
فأنا أعطيه كامل ثقتى .. »

بدأ الرجل يتكلم فى تردد .. قال :

- « اسمى ( يوجين كوربك ) .. ماجستير فى الفنون ودكتوراه  
فى القانون ودكتوراه أخرى فى الجراحة من كمبريدج .. دكتوراه  
لغات من جامعة لندن .. دكتوراه لغات شرقية من باريس .. فى  
بداية حياتى وقعت فى حب علم المصريات .. لا بد أن جعراًنا قد  
لدغنى لأننى رحمت أنزل المقابر الفرعونية وتعلمت الكثير ..  
قابلت أباك الذى كان يجرى بعض الأبحاث ومن حينها لم يبق لى  
الكثير لأتمناه .. ما من عالم مصريات مجنون يتمنى رئيساً  
أفضل من أبيك !

« قمت بحملات عديدة فى مصر من أجل أبيك .. وأغلب  
ما لديه من تحف حصل عليه عن طريقى .. ولكن هل أنت واثقة  
من أنه لا يقدر على مقابلتى فعلاً ؟ »

نهضت ، وقالت فى كبرياء :

- « تعال لترى بنفسك .. »

تبعها الرجل إلى غرفة المريض وأنا خلفهما .. كان المستر (تريلونى) فى الفراش بملامحه القوية الآمرة .. ما كان المنظر ليوحى باليأس لهذا الحد لو كان وجهها عادياً ، لكن رؤية هذا الرجل المسيطر قوى الشخصية عاجزاً كانت توحى بالخراب العظيم ..

ادلهم وجه مستر (كوريك) وبدا عليه الضيق .. ثم استحالت نظرتة إلى نظرة تصميم ، وأشار بعينه للممرضة مس (كنيدى) التى نظرت لسيدتها متسائلة ثم غادرت المكان وأوصدت الباب وراءها ..

قال لنا :

- « أريد معرفة القصة كاملة .. كيف بدأت ومتى ؟ »

حكيت له ما أعرفه .. لم يتحرك أثناء سماع القصة لكن بمعجزة تحول وجهه البرونزى إلى صلب .. وقال عندما انتهيت :

- « مستر (تريلونى) كان يعرف ما يفعله وقد أعد لكل شيء

عدته »

قلت :

- « ليس تماماً .. هناك نقطة ضعف فى خطته وإلا لما رقد

أمامنا الآن .. »

سألته مس (تريلونى) :

- « هل لديك تفسير لما حدث ؟ وما سببه ؟ »

قال على الفور :

- « لا .. لا أعرف لكنى أخمن .. صدقيني سأفعل أى شيء

بوسعى كي أساعدك ، لكنى فى هذه الحالة أواجه واجباً أكبر »

- « أى واجب ؟ »

- « الصمت ! »

واتغلق فمه كأنه مصيدة من الصلب ..

ساد الصمت من جديد حتى قطعتة مس (تريلونى) قائلة :

- « ما الشيء الملح الذى جئت من أجله وطلبت مقابلتى

ما دمت لم تلق أبى ؟ »

ضرب المقعد الذى كان يستند إليه ، وصاح :

- « رياه ! لقد نسيت كل شيء .. رأيتة فنسيت مهمتى ..

لكنى عاجز الآن عن طلب معونته ورأيه ، بينما الوقت يقلت من

بين أيدينا .. ليس بوسعى أن أخبرك كل شيء ، لكنى قد خسرت

الكثير .. مهمتى التى استمرت ثلاثة أعوام كانت ناجحة ..

وجدت ما بحثت عنه وعدت به للوطن .. وجدت كنوزاً عظيمة



القيمة ، ووصلت إلى لندن أمس .. لكن عندما صحوت هذا الصباح وجدت أنني سرقت .. سرقت بطريقة غامضة فما من أحد في لندن يعرف ما أحمله .. غرفتي كان لها باب واحد أحكمت غلقه .. غرفتي كانت في الطابق الخامس وما كان بوسع أحد دخولها من النافذة .. وبرغم هذا وجدت حقيبتى فارغة هذا الصباح .. ولت المصاييح التى ذهبت إلى مصر للتتقيب عنها .. بحثت .. تعبت .. والآن .. »

وبدا أنه موشك على الانهيار .. ثم أضاف :

- « واحد من المصاييح من ذهب .. أخشى أن يدمره اللص لأنه لا يعرف قيمته .. أخشى أن يذبيبه »

قالت مس ( تريلونى ) فى ثقة أدهشتنى :

- « لا تخف .. لن يدمرها أحد ! »

- « وكيف تعرفين ؟ »

- « لا أعرف كيف عرفت .. فقط أعرف ذلك ! كأنه يقين فى

دمى طيلة حياتى ! »

## الفصل 7

### العثور على المصاييح

بشكل غير رسمى أخبرت الرقيب ( دو ) ببعض قصة هذا المسافر ، والسبب أن الرجل كان يرغب فى إبقائها سرّاً .. ولذات السبب قال لى ( دو ) إن رأيه مجرد رأى عام لأنه لو أردنا اتخاذ إجراءات رسمية فلا بد من إبلاغ سكوتلانديارد .

وقد استجوب الرقيب المسافر ، فلم يعطه الأخير إلا أقل التفاصيل ببراعة لا بد أنه تعلمها من بازارات الشرق ..

سأله الرقيب :

- « السؤال هو .. هل من سرق هذه الأشياء يعرف قيمتها أم سيقوم بصهرها ؟ »

- « أى شخص له رأس على كتفيه سوف يعرف قيمة هذه الأشياء العالية .. »

- « إننا لننا أن نفترض أن من قام بهذا ليس مجرد خادمة فندق .. هذا شخص يعرف ما يريد .. لكنك سوف تتدهش عندما تعرف السهولة التى تمت بها السرقة عندما نكشفها ! »

قال ( كوربك ) فى حرارة وعصبية :

- « اصغ هنا يا صديقي الطيب .. ليس هناك شيء سهل في هذه السرقة .. النوافذ كانت مغلقة والباب موصداً بالمزلاج .. لم أغادر الغرفة ليلاً .. وكان آخر ما قمت به قبل النوم هو التأكد من كنزى . لو أنك وجدت سرقة بسيطة في هذا فأنت رجل بارع فعلاً .. رجل قادر على إعادة ما سرق منى »

تقرر أن يقضى المستر ( كوربك ) بضعة أيام معنا ، وقضينا باقى اليوم نفحص محتويات البيت ، وقد اكتسبت القصة ضوءاً جديداً بعد ما حكاها لنا مستر ( كوربك ) .. الآن فقط فهمت أى كنز يحويه هذا البيت .. وقد تناثرت فيه الموميאות وقطع النحت وأكثر من جعران .. فى غرفة النوم .. فى المكتب .. على الدرج ..

قالت لى ( مارجرىت ) فى سذاجة :

- « لن تصدق أننى لم أنظر قط لهذه الآثار باهتمام من قبل .. أخذتها كقضية مسلمة .. اليوم أشعر باهتمام عميق يشئنى لها .. ربما هو دم المستكشف الذى أخذته من أبى قد بدأ يعلن عن نفسه .. »

هكذا قضينا اليوم نستكشف الآثار وقررنا أن نفحصها بشكل مسلسل دقيق .. لم تكن ( مارجرىت ) بالسذاجة التى تعتقدها فى نفسها .. إن العام الذى قضته مع أبيها جعلها تعرف الكثير عن هذه الكنوز ..

على أن أهم التوابيت كانت تلك الثلاثة فى غرفة مستر ( تريلونى ) .. اثنان كانا من حجر أسود من الرخام النارى .. الثالث كان مختلفاً .. كان له لون العقيق اليمانى البنى المصفر .. وهنا وهناك بقع شبه شفافة .. وعلى التابوت آلاف النقوش الهيروغليفية بلون أزرق غامق .. كان ذا منحنيات ناعمة جميلة ، وطوله حوالى عشر أقدام ..

- « لا بد أن هذا التابوت مخصص لعلاق ! »

قالت :

- « أو لعلاقة ! »

ثم أضافت :

- « لم يرغب أبى قط فى الكلام عن هذا التابوت .. لقد شد انتباهى من البداية .. سألته فقال إنه سيخبرنى بالقصة يوماً ما ولسوف تكون قصة ممتعة .. لو عشت .. لو عشت ! شعرت بذعر لتكراره لفظة الموت وقررت ألا أسأله ثانية .. »

كان كلامها قد ألقى على اللغز ضوعين جديدين .. الأول هو أن مستر ( تريلونى ) ربط بين موته وذلك الأثر .. الثانى هو أنه كان يتوقع شيئاً بصدده لم يجرؤ على التصريح به حتى لابنته ..

جوار التابوت كانت هناك منضدة رائعة الجمال عليها علبة تتركب من رقائق من الصخر البلورى ، وسط أحزمة من الذهب الأحمر .. ربما بدت العلبة من طراز عصرى لكن ما حوته كان العكس .. بداخلها كانت وسادة من قماش ذهبى ترتكز عليها يد مومياء .. يد امرأة هى .. طويلة دقيقة فى حالة ممتازة كحالتها عندما أمسك بها المحنط منذ آلاف السنين ..

كان الجلد بلون العاج .. أما الملفت للنظر فهو أن بها سبعة أصابع .. أعلى المعصم مشرشر كأنما تم بترها ، وقد تم تلوين هذا الموضع بلون أحمر غامق .. كما كان بجوارها جعران من الزمرد ..

- « كانت هذه من أسرار أبى المهمة .. سألته عنها فوعد بأن يشرح لى كل شىء فيما بعد .. لو عاش ! »

كانت حجرتها من طراز حديث يختلف عن باقى أثاث البيت .. الواقع أن الرجل لم يشأ أن تنام ابنته فى جو الموت والموميאות المخيم على البيت .. هناك وجدت ذلك الكومود العتيق من طراز ( نابليون ) .. مدت يدي أتحسس الدرج فسمعت صوتاً كأنه معدن يضرب معدناً .. سألتها عن معنى هذا فقالت إنها لا تدرى ..

- « ربما هم الخدم يستعملون هذا الدرج .. لا أرى بأساً من فتحه . »

انحنينا على الدرج وفتحناه وألقينا نظرة .. كان قلبى يدق كالمطرقة .. خشينا أن نمس شيئاً .. لكننا استطعنا أن نرى المصابيح الموجودة فى الدرج بوضوح تام ! وللحظة خشينا أن نفكر فى أى شىء ..

فى هذه اللحظة ظهر مستر ( كوربك ) مع المفتش على باب المخدع ، فلما رأنا دخل من دون حذر ، وهو يصيح :

- « لقد استرددت متاعى يا مس ( تريلونى ) .. كل شىء هنا ما عدا المصابيح طبعاً .. المصابيح التى ... .. »

ثم توقفت عيناه على الدرج المفتوح ..

أطلق صيحة دهشة وسرور .. وانحنى يتفحص هذه الأشياء .. راح يلهث وهو يحملها فى يده مصباحاً مصباحاً كأنما هى حبيبته .. والصوت المنبعث منه كان أقرب لفظ يقر ..

أطلق الرقيب تنهيدة عالية ، فنظرت له ..

رأيته يحدق فى مس ( تريلونى ) التى كان ظهرها لنا ..

## الفصل 8

### الحاجة إلى المعرفة

قال الرقيب ( دو ) فى هدوء ، وصوته يخرق الصمت كأنه لحن نشاز فى معزوفة :

- « هل أنت واثق من أن هذه هى المصاييح التى سرقت منك ؟ »

قال الرجل فى ثقة :

- « بالتأكيد ! لا يمكن أن توجد مصاييح كهذه فى العالم كله ! »

- « ومن أدراك أن هذه المصاييح ليست فريدة ؟ ربما هناك

نسخة منها فى المتحف المصرى أو كانت عند مستر ( تريلوتى ) ؟

لا جديد تحت الشمس كما تعرف .. ربما كانت هذه هى الأصلية

والتي كانت عندك مزيفة .. هل لديك علامة تؤكد ؟ »

هنا ثار غضب مستر ( كوربك ) ونسى تحفظه وانفجر فى

حشد من الجمل غير المترابطة :

- « نسخ ؟ متحف بريطانى ؟ كلام فارغ ! لقد ضمنتها إلى

صدرى ثلاثة أشهر فى الصحراء وكنت أكلها قبل النوم وحين

اليقظة .. أمضيت ساعات أفحصها بعدسة مكبرة .. حفظت كل

نقش وكل حفر عليها .. ( كا ) تقف بين رع وأوزيريس فى قلب

الموتى حاملة عين النوم ! هل رأيت هذا المشهد فى أى مكان ؟ »

ثم بدأ يهدأ ، فقال :

- « أرجو أن تغفر لى ثورتى .. »

قال الرقيب :

- « بالعكس .. أنا أحب أن أرى الناس غاضبين من كلامى .. فقط

عندما يغضب للناس تعرف الحقيقة .. لقد أعطيتى تفاصيل عن هذه

المصاييح فى الدقيقة الأخيرة تفوق كل ما قلته لى من قبل .. »

نظر مستر ( كوربك ) لى ، وسأل فى مرح :

- « كيف استرددت ما هذه المصاييح ؟ »

قلت فى ارتباك :

- « لم نستردها ! »

- « كيف ؟ لقد كنتم تفتان تحملقان فيها .. »

- « هذا ما حدث فعلاً .. وجدناها !! واقترح أن نسأل الخدم

لمعرفة كيف جاءت هنا . »

استجوبنا الخدم واحداً بعد الآخر عن شىء وضعوه فى درج

المخدع ، لكن لم تكن لدى أحدهم أدنى فكرة عما نتكلم عنه ..

على كل حال وضعنا المصابيح فى خزائنه لها مفتاحان .. مفتاح صار معى والآخر أخفيتها فى درج خاص بى ..

عندما انتهت هذه الأحداث وصل د . ( ونشستر ) ومعهُ صندوق فتحه أمامنا فوجدنا به مومياء قط .. كانت هذه هى التجربة التى أراد أن يجربها من قبل على القط ( سيلفيو ) ..

لقد تم استبدال هذه المومياء الحديثة بالمومياء انقرعونية ثم جلبنا ( سيلفيو ) ..

كانت المفجأة هى أن القط لم يبد أئنى اهتمام بالمومياء الجديدة .. قال الطبيب فى لهجة انتصار :

- « توقعت هذا ! »

سألته مس ( تريلونى ) :

- « وما معناه ؟ »

لم نجد تفسيراً ، لكن الرقيب كان رأيه أن الحادث تافه .. لكن ما عنده لم ينته عند هذا الحد ..

لقد بق باب غرفتى فى المساء ليفضى لى بشكوكه .. المصابيح موجودة فى مكان تستطيع مس ( تريلونى ) الوصول له فى أى وقت .. لقد سمع نافذة تفتح فى الطابق الأرضى أمس .. مس

( تريلونى ) كانت موجودة فى كل حوادث الاعتداء التى شهدناها من قبل .. إنها موجودة دائماً فى كل مرة ..

كنت أصغى له وأنا أشعر بدرجة عالية من التوجس والخوف .. كنت أعرف أئنى غارق فى حبها الآن .. أردت أن أعبر عن شكوى لئنى فى الوقت ذاته كنت أرفضها بقوة ..

كانت عينا المفتش المحنك مسلطين على وجهى طيلة الوقت .. بصعوبة قلت له :

- « ماذا تريد قوله ؟ »

قال :

- « أريد القول إن المصابيح لم تسرق على الإطلاق .. هناك من جاء بها من الفندق إلى المنزل وتم تسليمها عن طريق نافذة فى الطابق الأرضى .. ! »

شعرت براحة كبرى .. ليس هذا هو الاستنتاج الذى أخشاه .. - « ومن فعل هذا ؟ »

- « لا أستطيع أن أحكم .. ربما مستر ( كوربك ) نفسه .. »  
- « إن أنت تعتبر الرجل نصائباً كذاباً تعاون مع مس ( تريلونى ) على تلفيق هذه القصة لسبب أو آخر ؟ »

- « تلك كلمات قاسية يا مستر ( روس ) .. لم أكن أحب أن أشك في مس ( تريلونى ) لكنى متأكد مما أقوله بصدد مستر ( كوربك ) .. لا أحب بقاءه في البيت بكل ما فيه من كنوز .. المزية الوحيدة لهذا الوضع هو أنني سأتمكن من مراقبته .. وطبعاً لا داعى لأن أقول إن الموضوع سر بينى وبينك »

## الفصل 9

### وادي الساحرة

أعطاني ( كوربك ) كتاباً من مكتبة مستر ( تريلونى ) عن التاريخ الفرعونى قال إنه سيساعدنى على فهم ما يحدث هنا ، وقد وضع علامات على بعض الصفحات كي لا أضطر لقراءة الكتاب كله .. لذا قررت أن أخذه معى أثناء السهر ، ووضعتة على المنضدة جوار الأباجورة .. أملت الغطاء بحيث يسمح لى برؤية الغرفة والممرضة الساهرة معى ..

منذ الصفحة الأولى بدا الكتاب ذا أهمية .. فالغلاف يقول إنه طبع فى أمستردام عام 1650 .. الكتابة بالهولندية وهناك من ترجمه للإنجليزية كلمة لكلمة بشكل حرفى جعل فهم المكتوب عسيراً .. دعك من صعوبة تبين شكل الحروف العتيقة ، لكنى مع الوقت بدأت أكتسب القدرة على تمييز المكتوب ..

كنت أقرأ ثم أرفع عيني لأتفحص الغرفة الغارقة فى الظلام والصمت ، ثم أعود إلى صفحات الكتاب ، وكان لهذا أثره فى ( زغلة ) عيني ..

كان مؤلف الكتاب يدعى ( نيكولاس فان هيون ) ، يقول إنه افتتن بمصر حتى أنه ذهب إليها وقضى أكثر عمره فى استكشاف

معابدها وقبورها .. فما إن توغلت في الكتاب حتى رحلت أرفع عيني من أن لآخر لأرى إن كانت الممرضة تحركت .. لقد بدأت أشعر بأن هناك شخصاً يقربى ..

واصلت القراءة عن مغامرة المؤلف في منطقة تقع شرقي أسوان :

« قرب المساء بلغنا وادياً يمتد شرقاً وغرباً .. كنت أرغب في عبوره لكن الفلاحين رفضوا ذلك بإصرار لأننا لن نتمكن من العبور أبداً قبل الليل .. ولم يقدموا سبباً لخوفهم .. في النهاية اعترفوا أن هذا وادي الساحرة حيث لا يمكن أن يبيت أحد ليلته .. قالوا هذا ولم يعطوا تفاصيل أكثر ..

« في الصباح تبذدت مخاوفهم فحكوا أن ساحراً أو ساحرة كان يعيش هنا منذ ملايين ملايين السنين - حسب كلامهم - وقد دفن هنا .. وإذ عبرنا الوادي لاحظت أنهم يتعمدون أن يسبقوني .. قالوا إن السبب أن ذراع الساحرة طويلة ومن الخطر أن تكون آخر واحد في مجموعة ..

« في نهاية الطريق وجدت جداراً صخرياً امتلأ بالنقوش .. صممت على أن أستكشفه لكن الفلاحين كانوا عصبيين جداً وخشيت أن أفقدهم .. بعد عبور الوادي قابلت شيخاً بدوياً يدعى ( أبو صم ) وهو من البدو الذين لا يؤمنون بالخرافات مثل

المصريين .. لذا صممت على أن أعود لاستكشاف هذا الجدار مع رجاله ..

« فشلت كل جهودي لتسلق الصخرة لأنها منسأة تماماً .. كما كان من المستحيل غزوها من أعلى ؛ لذا قررت أن أتلى بالحبال فوقها بحثاً عن فتحة مقبرة اعتقدت في وجودها ..

« بالفعل وجدت فتحة تم سدها بحجر كبير عليه نقوش هيروغليفية .. وقد تمكنت من تحطيمها باستعمال ما معي من أدوات .. هكذا وجدت نفسى داخل قبر .. قبر لم يمس ، فيه ممر يقود لغرفة المومياء ..

« لحق بي الشيخ العربي ورجلان ، وتعاونوا على رفع غطاء التابوت الذي وجدناه .. داخل التابوت كانت مومياء امرأة ملفوفة بالشاش وقد قدرت أنها من مرتبة عالية .. فوق صدرها كانت يد غير ملفوفة بالأربطة .. وهو وضع غريب غير معتاد .. كان لون الذراع كالعاج والأظفار سليمة كأن المومياء دفنت ليلة أمس .. كانت لينة تتحرك ..

« الأغرب أن تلك اليد كانت ذات سبعة أصابع .. شعرت بقشعريرة إذ ألمس هذه اليد التي ظلت هنا آلاف السنين .. وتحت اليد - كأنما تحرسها - كانت ياقوتة كبيرة .. ياقوتة مذهلة

في حجمها وألوانها .. الأغرب أن الضوء كان ينبعث منها من سبعة نجوم .. كأنها محبوسة بداخلها .

« كانت هناك أوعية كاتوبية مما تحفظ فيها أحشاء المومياء ، وقد رأينا بعضها فأصر الرجال على إفراغها لأنهم حسبوا ما فيها كنزًا آخر ، لكن خاب سعيهم لأنها كانت مليئة بالزيت الذي سكبوا أكثره على الأرض .. »

« فجأة اتنابنى الذعر وقررت أن أفر الآن من المقبرة ، لأننى كنت فى الصحراء مع رجال غرباء ، ولأننى فى قبر مجهول على ارتفاع مائة قدم حيث لن يعرف أحد عنى أى شىء لو حدث لى مكروه .. »

« غادرت المقبرة مع الشيخ على حين تأخر الرجال لسبب لا أدريه .. بعد قليل لحقوا بنا فتعثرت قدم أحدهم وسقط من أعلى ومات على الفور .. »

« أغلقت المقبرة بعناية على أمل أن أرجع لها يومًا ما فى ظروف أفضل .. وفى الخارج رحبت لأول مرة بالشمس الحارقة التى بددت مخاوف وظلام ورطوبة القبر ، وأردت أن أعود لأسترد جثة المسكين الذى هلك ، لكن الشيخ أرسل اثنين من رجاله للقيام بهذه المهمة .. »

« فى المساء أقمنا معسكرًا .. لحق بنا أحد الرجلين ليخبرنا أن أسد صحراء قد فتك بصاحبه .. وأنه دفن القتيل فى مكان لا تعبت به الضباع ولا بنات آوى . »

« لكنى لاحظت أنه يعرض على رفاقه شيئًا ينظرون له بإعجاب وإكبار .. دنوت منهم أكثر فعرفت أن هذا الشىء هو يد المومياء التى وجدناها .. لقد وجدها فوق جثة صاحبه الذى سقط من فوق المرتفع .. لا بد أن القتيل سرقها خلسة وأنا مشغول مع الشيخ .. من المؤكد أنها لم تجلب له الحظ الحسن .. »

« قضيت ليلتى مؤرقًا أخشى الغدر .. فهؤلاء القوم يمكن أن يضعونى تحت رحمتهم فى أية لحظة .. خبأت الياقوتة فى يدي كى أتمكن من النوم .. وفى النهاية غلبنى النعاس .. »

« صحت على شمس الصباح فجلست ونظرت حولى .. كان المعسكر خاليًا والنار قد خمدت .. لم يعد من أحد حولى إلا ذلك الشيخ العربى .. كان راقداً على ظهره ميتًا وجهه شبه أسود وعيناه تحديقان فى السماء .. »

من الجلى أنه خنق لأن هناك علامات أصابع حمر على عنقه .. بالتحديد سبعة أصابع .. من الواضح أن السحر واللعنات موجودة حتى فى هذه الصحراء المفتوحة .. »



« سقطت الياقوتة من يدي التي أطبقت عليها طيلة الليل ، فوق فم الجثة .. هنا خرجت دفقة دم من فم الرجل حتى بدأ أن الياقوتة ستضيع .. ووجدت في يده خنجراً فعرفت أنه كان موثقاً على الفتك بي أثناء نومي لولا أن أنقذتني معجزة ما ..

« استعدت الياقوتة ملوثة بالدم وفررت من هذا المكان الرهيب ، ومشيت وحدي في الصحراء حتى وجدت بعون الله قافلة من الأعراب تصكر جوار بئر .. وقد استرحت لديهم ..

« لا أعرف ما صار بصدد يد المومياء ولا من أخذوها .. لا بد أن قبيلة صحراوية ما تستعملها كتعويذة للقوة .

« فيما بعد فحصت الياقوتة وحاولت فهم ما نقش عليها .. وقد كان ما رسم عليها هو ... »

كنت منهمكاً في القراءة ، لكن التوتر جعلني أشعر أكثر من مرة برؤية ظل كبير كأنه ليد فوق الصفحات .. ثم عرفت أنه ظل الغطاء المحيط بالمصباح .. لكن لا عجب في هذا ، فلو لم أكن مخطئاً فإن ذات اليد التي وصفها (فان هوين) موجودة معي الآن في ذات الحجرة ..

تأكدت من أن الممرضة متيقظة ، فمما يريح النفس أن تعرف أن هناك شخصاً حياً بقربك أثناء قراءة هذه القصص ..

فجأة رأيت يداً حقيقية فوق صفحات الكتاب .. هذه المرة لا شك في هذا .. يد أعرفها وأحببتها .. نعم .. لقد أحببت يد مس (تريلوني) حقاً ، وكانت الآن تقف جوارى .. أغلقت الكتاب في عجلة ، فقالت :

- « جئت كي أبدأ سهرتي .. حسبك قد رحمت في غيبوبة أنت الآخر .. »

قلت وأنا أداري الكتاب :

- « لا مشكلة .. هذا كتاب استعرته من مكتبة أبيك وسوف أعيده .. أعرف رغبته في أن يظل كل شيء كما هو .. »

وطلبت منها الإذن وهرعت لحجرتي كي أخفي الكتاب هناك ..

ذهبت الممرضة لتخلد للنوم فجلست وحدي مع مس (تريلوني) .. لم أكن بحاجة إلى كتاب في وجودها .. وهذه المرة لم نتكلم قط عن المومياءات ولا البدو ولا الكهوف .. أعرف يقيناً أن يدها ليست ذات سبعة أصابع والسبب أنها تستقر الآن في يدي ..

\*\*\*

في الصباح قال د . (ونشستر) إنه ذاهب إلى (إيسوتش) وطلب مني الكتاب ليطالعه في القطار وهو ذاهب إلى هناك .

صعدت لغرفتي لأحضره لكنى لم أجده فى أى مكان .. أنا متأكد من أننى تركته على المنضدة الصغيرة هناك .. هذا غريب .. لم يكن منظر الكتاب ليجذب انتباه أى خادم لسرقته .. هكذا عدت لأخبر الآخرين باختفائه ..

قال مستر (كوريك) عندما عرف القصة :

- « على كل حال لا تقلق .. لا يوجد فى الكتاب ما يثير الاهتمام بعد هذا ، ولمدة قرنين لم يحل أحد لغز هذه الياقوتة .. لكن الكتاب يلقي علينا أسئلة مهمة ، وهذه الأسئلة هى التى حفزت أمثال (تريلونى) وأنا على محاولة حلها .. والتقىنا عند هذه النقطة ، فهو حجة فى اللغات الشرقية ، أما أنا فأفضل منه فى لغات الشمال .. ذهبت إلى أمستردام وبذلت جهداً كبيراً فى البحث عن أية كنوز تركها ذلك المستكشف الهولندى .. فى متجر قديم وجدت تلك الياقوتة ذات النجوم السبعة وعليها نقوش هيرغليفية .. لم يكن صاحب المتجر فى عالمه الناعس يعرف أى شىء عن أهمية هذه التحفة إلا أنها حجر ثمين ، وكانت جيوبى مليئة لأننى اشتري للمستر (تريلونى) الذى تعرف بالتأكد كم هو ثرى .. هكذا ابتعت الياقوتة وعدت إلى لندن وقلبى مفعم بالحماس والسرور .. وضعنا الجوهرة فى خزانة مستر (تريلونى) وانطلقنا نستكشف بعد ما تأكدنا من صدق القصة فى الكتاب .. »

## الفصل 10

### قبر ملكة

« فى هذا الوقت كانت ثورة (عرايى) قد انتهت وصارت مصر مكاناً مأموناً للمسافرين الإنجليز .. هكذا سافرنا إلى هناك ، ولم يكن مستر (تريلونى) ممن يخافون حتى بدأت أعتبر نفسى جباناً بالمقارنة به ..

« وجد مجموعة من الأعراب ؛ منهم واحد عرفنا أن بوسعنا أن نثق به .. أو على الأقل نشك فيه بقدر أقل من الباقين\* ) .. وحصلنا على موافقة السلطات الموالية للبريطانيين ، وإن احتجنا للكثير من الرشوة .. ثم بدأنا رحلتنا فى الصحراء ..

بدأنا البحث فى أسوان إلى أن وجدنا وادياً يشبه هذا الذى وصفه (فان هيون) .. وجدنا ذلك الجرف الصخرى ، لكن الأسرار التى حيرت (فان هيون) لم تعد مستغلقة علينا اليوم .. استطعنا قراءة ما كتبه كهنة طيبة منذ خمسين قرناً .. كهنة معادون لو كان لى أن أقول هذا .. فقد كانت الكلمات تقول :

(\*) اعتاد القارئ على كل حال عنصرية (ستوك) وكراهيته للأفارقة والعرب .. وقد قرأنا من هذا الكثير فى (عرين الدودة البيضاء) ، ولقنا به كتب قصته فى ذروة عصر الإمبراطورية البريطانية ..

« هاهنا تاتي الآلهة من دون دعاء .. فقد أهانهم الذي لا اسم له  
ولسوف يظل وحيداً للأبد .. لا تدنُ وإلا صعقت انتقامهم .. »

لم يعد أحد يقدر على قراءة المكتوب ، لكن صدى التهديد ظل  
حياً عبر القرون ، فلم يجسر واحد من الأهلى على الدنو من هذا  
القبر .. ولم نجسر على ترجمة المكتوب للقادمين معنا ، فهم  
وإن كانوا لا يؤمنون بتلك الآلهة التي يحذرنا الكهنة منها ، فهم  
مؤمنون بالخرافات كثيرو التطير .. ومن السهل أن يتخلوا عن  
المهمة ويفرون ..

صنعنا درجات من الخشب تعلى الصخرة ، وصعدنا إلى حيث  
وجدنا الصخرة التي تسد الكهف موضوعة بشكل أخرق وإن أبقاها  
وزنها حيث هي .. اضطررنا لدفعها للداخل كي نتمكن من الدخول ..

هكذا نزلت القبر أنا ومستر ( تريلونى ) ومعنا مصابيح عدة  
رحنا نثبتها ونحن نتوغل .. كان هذا من أجمل ما رأته أعيننا  
من قبور .. لا بد أنه أعد فى حياة ساكنة وبأوامره ..

وعلى القطعة التي نطلق عليها اسم ( البلاطة التذكارية )  
وجدنا نقوشاً بالهيروغليفية تقول :

- « تيرا .. ملكة مصر وابنة ( أنتيف ) ملك الشمال والجنوب .. »

ثم راحت الكتابة تحكى قصة ملكها .. كان تاجا الشمال والجنوب  
( الهيجت والدشر ) فى قبر منكة مصرية وهنتذا شيء غير معتاد ..  
كان هناك عرف فى مصر القديمة أن هذا التاج يلبسه ملك فقط ..

لك أن تتصور زهولنا وسط كل هذه العظمة .. خاصة أننا لسنا  
أول بشريين نرى هذه الأشياء ، لكننا أول بشريين ندرك معناها  
منذ خمسة آلاف سنة ..

كان سقف المقبرة منقوشاً بكثافة وكل النقوش بلون أخضر  
مزرق ، وقد نزل ( تريلونى ) أولاً .. بالداخل وجدنا تابوتاً من  
حجر أصفر هو الذى رأيته أنت فى غرفة مستر ( تريلونى ) ..  
كما وصفه ( فان هوين ) بالضبط .. بالطبع كان المشهد أقل  
إثارة مما وجدته ( فان هوين ) لكن كان هناك مشهد أثار رعبنا  
ولم يره هذا الأخير .. ففى نهاية نراع الملكة - حيث پتر الساعد  
- كان هناك دم جاف !!

كأنها نزفت حتى الموت ! وقد سال الدم وأغرق اللفافات كأنه  
الصدأ ..

هنا كان الدليل على صدق الراوى .. بالتالى لم أعد أشك فى  
باقى قصته .. مثل الأصابع السبعة على حنجرة الشيخ ..

الآن لن أنقل عليك بتفاصيل لا تهم سوى الأكاديميين ..  
سأحكى لك ما يهمك فقط .. كانت الملكة ( تيرا ) هى الحادية  
عشرة فى سلالة ملوك من طيبة تواجدت بين القرن التاسع  
والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد .. كانت الابنة  
الوحيدة لأبيها ( أنتيف ) .. مات أبوها فى صغرها فأغرى هذا

الكهنة بأن ينفذوا مؤامرتهم للاستيلاء على الحكم .. لكن الملك كان قد تحسب لهذا ؛ لذا ضمن لابنته ولاء الجيش ، وعلمها علم الكهان وسحرهم ، بحيث نشأت الفتاة بين النصوص وأحببت الفنون .. من المدهش أن تعرف أن جزءاً كبيراً من النقوش التي رأيناها صنعتها بنفسها ..

لقد درست السحر الأسود وصار بوسعها أن تسيطر على العقل وقدرات الإرادة والنوم واليقظة .. وقد جعلت الكهنة يضعونها في تابوت وينزلونها القبر لمدة شهر ، ثم عادت بعد هذا لتثبت أنها أقوى من الموت ..

في كل جزء من المقبرة توجد رسوم تمثل كوكبة نجوم المحراث . يبدو أنها بشكل ما كانت تربط نفسها بهذه الكوكبة ..

كان الكهنة ينوون محو اسمها ، وهذا شيء خطير لو كنت مصرياً قديماً لأنه يحرمك نهائياً من العالم الآخر .. وكأنت هي تعرف هذا ؛ لذا قررت أن تبعث ثاتية بعد زمن بعيد في أرض شمالية أكثر .. تحت كوكبة النجوم التي حكمت ميلادها .. حرصت على أن تترك يدها غير ملفوفة وفيها الجوهرة ، بحيث يمكنها الحركة لو شعرت بهواء طلق .. كما فهمنا فإنها قررت أن تتحول إلى شكل نجمي وتتجمع جزءاً بجزء حتى تصير هي من جديد ..

عند قدميها في التابوت كان صندوق حجري ذو سبعة جوانب هو الذي رأيته في غرفة مستر ( تريلوني ) ..

لقد ظللنا في وادي الساحرة أياماً حتى نسخنا كل ما وجدناه على الجدران .. وعندما رحلنا أخذنا عدة أشياء من بينها تابوت المومياء ذاته .. كانت عملية النقل صعبة ، وكان الخطر دائماً خاصة في الليل من العصابات وهؤلاء البدو المرافقين لنا ..

في الليل داهمتنا عاصفة سموم من تلك العواصف العنيفة التي تهاجم الناس في الصحراء .. هرب البعض بينما حاولنا أن نتماسك ونصمد ..

في الصباح جمعنا حاجياتنا .. وجدنا التابوت الذي كانت فيه المومياء لكن لم نجدها .. بحثنا .. حفرنا الرمال بلا جدوى .. لكن في الليل نهض ( تريلوني ) وهمس في أذني :

- « سنعود إلى المقبرة ! لا تسأل عن السبب حتى لا نسبب الشكوك .. فقط نفذ ما أقول »

ثم همس :

- « سنجد المومياء هناك ! تأكد من هذا »

هكذا قررنا العودة ولم يرق هذا للعرب وحدثت احتكاكات كثيرة .. من ثم وجدت ومستر ( تريلوني ) أننا مرغان على العودة

وحدنا إلى الوادى وإن وعد الشيخ بأن ينتظرنا فى المعسكر ثلاثة أيام ..

بدا واضحا أن هناك من دخل المقبرة أثناء غيابنا ، فقد كان الحبل يتدلى داخل القبر من الفتحة العلوية ! تبادلنا النظرات ولم نتكلم ..

نزلنا إلى المقبرة .. هنا خطر لى أن هذه مصيدة محكمة .. لو أن أحدهم قطع الحبل لدفننا هنا حيين ، وكانت الفكرة مرعبة لكن وقت عمل شيء قد تأخر ..

دخلنا قاعة الدفن ، وكانت خاوية موحشة بسبب غياب التابوت العظيم .. ما جعلها موحشة أكثر هو مومياء الملكة التى وجدناها ملقاة على الأرض ! وجوار الأشلاء كان ثلاثة من العرب الذين تركونا .. كانوا موتى أسودت وجوههم وتلطخت ثيابهم بالدم الذى نزف من أفواههم وأنوفهم .. وعلى حلق كل منهم أثر يد ذات سبعة أصابع ..

صرخنا وتماسكنا .. لأن ما هو أكثر شناعة كان تلك اليد التى استقرت على صدر المومياء .. يد لها لون العاج ولها سبعة أصابع !

## الفصل 11

### النهوض من السبات

لما استعدنا روعنا لم نضيع أى وقت فى نقل المومياء .. نقلناها خارج المقبرة وعدنا إلى معسكرنا حيث كان ينتظرنا مرافقونا .. لدهشتنا وجدناهم موشكين على الرحيل . سألنا الشيخ فقال إنه أنهى المطلوب منه فى الاتفاق وأن ثلاثة أيام قد مرت .. حسبته كاذبا يبرر رغبته فى تركنا ..

وصلنا القاهرة وهناك تذكرنا أن تاريخ دخولنا المقبرة الثانى كان 3 أكتوبر 1884 .. لن أنسى التاريخ لسبب معين . لقد مرت علينا فى المقبرة ثلاثة أيام كاملة ونحن نحديق فى المومياء وأشلاء النصوص !

من القاهرة قصدنا الإسكندرية حيث كان علينا أن نركب سفينة إلى مارسيليا .. ومن هناك بالقطار إلى لندن .. لكن كانت تنتظرنا فى الإسكندرية برقية تخبرنا أن مس ( تريلونى ) ماتت وهى تضع طفلة .. هى ( مارجرىت ) ..

هكذا انفصل عنى مستر ( تريلونى ) ليسرع إلى الوطن ، ولحقت أنا به حاملا المتاع والمومياء .. لقد شاب شعر الرجل ، ومنذ تلقى البرقية لم أراه يضحك مرة واحدة ..

كانت علاقته بابنته (مارجريت) مركبة تجمع بين الحب الذي يبلغ درجة العبادة، والشعور بأنها سبب موت أمها .. الشيء الثاني الذي أخفاه لكنه أعلن عنه في لحظة معينة هو :

- « إنها لا تشبه أمها .. تشبه صور تلك الملكة (تيرا) ! »

ثم أرسل الطفلة لتتربى بعيداً ، ولم أراها مرة أخرى قط حتى هذا اليوم الذي جئت فيه للبيت ..

قرر أن يغرق همومه في العمل ، وقد قضى وقته في دراسة ما حصل عليه وفي تنسيقه ..

كانت خلاصة دراسات (تريلونى) تقول إن سر الياقوتة لن يتضح إلا عندما توضع في وضع خاص وسط ما يماثل نجوم كوكبة المحراث .. أى أنه يجب أن تحيط بها سبعة مصادر ضوئية تعمل عمل النجوم .. وقد جربنا هذا بعدة مصابيح بلا جدوى ، من ثم فكر (تريلونى) فى أن هناك نوعاً من المصابيح اصطنعتها الملكة (تيرا) تقوم بهذه المهمة بالذات ..

هكذا عدت إلى مصر وإلى المقبرة من جديد بحثاً عن تلك المصابيح الغامضة ، وكان هناك سرداب خفى لم نلفظ له فى المرة الأولى ، لكنى وجدت جثة نص حاول فتحه ومات .. رحلت أنقب أعواماً ، وفى النهاية وجدت المصابيح عند تاجر عاديات ..

كلها تحمل شعار الرب (هاتور) ، وقد اضطررت لشراء أشياء كثيرة من ذلك التاجر لأخفى اهتمامى الخاص بهذه الأشياء ، وعدت بها ملهوفاً إلى لندن بعد غياب ثلاثة أعوام عن الوطن لأجد الوضع كما تراه ..

قال مستر (كوريك) وهو ينهى قصته :

- « أنت الآن تعرف ما أعرفه عن القصة ، ولك أن تحدد القدر الذى يمكن أن تعرفه مس (تريلونى) .. »

هنا سمعنا صوت مس (تريلونى) يقول :

- « عم نتكلمان ؟ وما هو ذلك السر الذى تتأشنان معرفتى له ؟ »

\*\*\*

عجزت عن الكلام فقالت :

- « لا تتعب نفسك .. لا أود سماع أى شىء قبل أن يشفى أبى .. »

ثم أعلنت أنها ستخرج إلى الحديقة قليلاً كي تنتعش من جو البيت المسموم ..

جلست وحدى فى غرفة المريض وقد انصرفت الممرضة من أجل بعض شأنها ، ورحت أتأمل فى كل ما فات وما قاله لى مستر (كوريك) ..

هنا سمعت صوتًا غريبًا .. صوتًا لا معنى له لكنه بدا كلحن عذب في أذني ..

لقد كان الرجل المريض يتكلم !

- « من أنت ؟ ماذا تعمل هنا ؟ »

لم يتخيل أحدنا أن يفيق الرجل ويسيطر على حواسه بهذه السهولة !

رددت بطريقة شبه آلية :

- « اسمي ( روس ) .. وأنا مكلف بالعناية بك .. »

- « تعنى بي ؟ لماذا تعنى بي ؟ »

ثم استقرت عيناه على الضمادة على معصمه فالتفت .. ثم صار أقل عدوانية ، وقال :

- « هل أنت طبيب ؟ »

- « لا .. »

وابتسمت .. هنا سأل وقد استعاد دكتاتوريته :

- « لست طبيبًا ؟ إذن ما الذي تفعله هنا ؟ »

قلت في هدوء :

- « أنا محام لكن ليست هذه صفتي هنا .. لقد طلبتني ابنتك عندما حسبتك قد قتلت .. بعد هذا اعتبرتنى صديقًا وطلبت مني العناية بك .. »

لم يكن بالرجل كثير الكلام ، وقد أدركت أنه قبل وجودي بسرعة .. ربما كانت لديه أسبابه ..

- « هل حسبتم ذلك أمس ؟ »

- « بل منذ أربعة أيام .. ! »

بدا عليه الذهول ، ثم قال لي :

- « أغلق الباب .. لا أريد أن أقابل أحدًا أو أكلم أحدًا قبل أن

أعرف منك بالتفصيل ما حدث .. »

اتجهت لغلقي الباب وأنا أشعر بالراحة .. كل واحد في هذا البيت يعاملني بشكل استثنائي ..

- « هلم .. »

هكذا رحت أحكي له قصتي ، وبالطبع لم أحك شيئًا عن حبي لابنته التي صار اسمها مس ( تريلوني ) لا ( مارجريت ) الآن ، ولا قصة ( كوربك ) التي لم أقل عنها سوى إن الرجل أضع بعض المصابيح ووجدها في البيت .. كل هذا وهو يرمقتني بنظراته الفاحصة للروح طيلة الوقت .. وتذكرت أن أصدقائي

كانوا يصفوننى بالقوة .. يجب ألا أضعف أمام هذا الرجل .. إننى أواجه الآن لحظة صعبة بحق ..  
فى النهاية قال لى بابتسامة مطمئنة :

- « مالكولم روس ) .. سمعت عنك الكثير كجنتلمان شجاع وشريف .. يسرنى أن ابنتى لها صديق .. »  
هنا توثب قلبى ، فقد ربحت أول خطوة فى الفوز بأبى (مارجريت) ..

وفهمت من الكلام أنه سرٌ لمعرفة أن ابنته كانت خائفة جزعة عليه .. لقد كان يحب أمها حقاً ، وحبها هو حب لابنة زوجته أكثر مما هو حب لابنته ..

بدأ جو من (الحموة) يولد ويبعث الأمل فى قلبى .. للحظات شعرت بأنه يكلمنى كزوج ابنته فعلاً .. وعندما طلب منى أن أستدعى له (كوريك) حالاً وألا أبلغ ابنته على الفور حتى لا تصدم ، هرعت إلى الباب .. هنا استوقفنى صوته ينادينى :

- « مستر (روس) »  
توقفت وقد تضايقت لأنه عاد لصيغة (مستر) الرسمية بعد ما نادانى (مالكولم) عدة مرات .. عدت له فقال لى :

- « أفهم من كل هذا الحماس الذى تتحدث به عن ابنتى أنك تنوى طلب يدها منى فى وقت قريب ؟ »

- « بالقطع ! كانت هذه نيتى .. طبعاً بعد فترة مناسبة محترمة .. لقد اقتربت منها فى الفترة الأخيرة أكثر مما كنت أحلم به لكنى أؤكد لك بشرفى أننى - من ناحية ابنتك على الأقل - ما زلت مجرد صديق ، ولم أفتحها فى أى شىء بهذا الصدد .. إن الظروف لم تكن تسمح على كل حال .. »

- « إذن أطلب منك ألا تفتح الموضوع معها ، لأن الوقت ضيق وأنا بحاجة إلى التفكير فى مواضيع أخرى . »  
- « أعدك بهذا يا سيدى . »

خرجت وأخبرت (كوريك) بأن مستر (تريلونى) قد شفى .. راح يرقص كالمجنون .. أما (مارجريت) فجلست على أقرب مقعد وراحت تبكى .. أخبرت الرقيب (دو) فسألنى على الفور :

- « ما هى قصته عن الاعتداء الأول عليه ؟ لقد كان فى غيبوبة عندما وقع الاعتداء الثانى .. »

كنت قد نسيت كل شىء عن الاعتداء الأول .. لم أسأل الأب عنه ، لكن الغريزة المهنية لدى الرجل كانت قوية فعلاً .. وكان



رأيه إن فرحة عودة الرجل للوعى سوف تنسينا جميعاً البحث  
عن تفسير منطقي لما حدث ..

نادى الأب (مارجريت) فهرعت إلى حجرته غير مصدقة ..

كان آخر ما رأيته هو منظرها بين ذراعى أبيها ، ثم اتغلق  
الباب عليهما ..

## الفصل 12

### الوحمة

كنت غارقاً في خواطري بصدد هذين المخلوقين القويين اللذين  
لم يجدا الفرصة قط ليتقاربا .. كان كل منهما بحاجة إلى أن  
يشعر باهتمام الآخر ، عندما انفتح الباب وناداني مستر  
(تريلوني) بلهجة أمرة :

- « تعال يا مستر (بروس) .. »

نهضت متوجساً من هذه اللهجة الرسمية ، فأغلق الباب خلفي  
وقال لابنته :

- « هذا الرجل عرف الكثير جداً عن الموضوع فلم يعد أمامنا  
إلا أن نتوقف هنا ونطلب منه أن يرحل ، أو أن تريبه ساعدك .. »

في تردد كشفت (مارجريت) عن ساعدها وقربت مني .. هنا  
أجفلت مما رأيت .. فعلى معصمها كان خط أحمر متعرج تتدلى  
منه نقط حمر كأنها قطرات دم !

الغريب أنها بدت فخوراً برغم ما جبلت عليه من نكران الذات ..  
برغم النار المتقدة في عينيها والمسلطة على روعي .. كانت  
تفيض كبرياء .. كبرياء ملكة من عصور غابرة ولدت كي تكون  
الأولى والأعظم ..

سأنتى أبوها :

- « ماذا تراه ؟ »

لم أرد بكلمات .. فقط أمسكت بيد (مارجريت) وثمنت معصمها .. لمحت شبح ابتسامة على شفثتها كأنها تحلم ..

قال الأب :

- « الآن هات لى مفتاح الخزانة كى ألقى نظرة على تلك

المصاييح .. »

هكذا هرعت إلى (شاتسرى لين) لأجلب له المفاتيح ..

تناولنا العشاء مع د . (ونشستر) ومستر (كوربيك) وكان

عشاء مرحًا بطبيعة الحال .. وبعده قال لى الأب :

- « أرى أن تمضى ليلتك فى بيتك .. فأنا بحاجة للهدوء

والحديث مع ابنتى .. غدا أخبرك بالمزيد .. »

كنت أشعر بضيق لترك البيت بعد تلك الأيام لكنى فهمت إرادته

واحترمتها ..

- « تعال مبكرًا فى أى وقت تريد .. لو أردت تناول الإفطار

معنا فلتأت .. »

ولم أتم تلك الليلة .. السعادة على جانب من فراشى والقلق على الجانب الآخر .. وجاء الفجر مسرعًا مندفعًا .. فهرعت إلى دار (مارجريت) لأتناول الإفطار مع الأسرة ..

قال الأب لما فرغ من الإفطار :

- « أنا راغب فى إجراء تجربة علمية خطيرة أعتقد أنها ستضيف الكثير لفهمنا للكون وللبشرية ، لكنى لست طليق اليد فى وجود ابنتى .. أشعر أن هناك خطرًا لا بأس به عليها .. »

نهضت (مارجريت) واحتضنت أبها ، وقالت :

- « أبى .. إن أمى لم تطلب منك البقاء جوارها حينما قمت بتلك الرحلة الخطرة لمصر ، خاصة والبلاد كانت فى حرب .. لقد تركتك تذهب كما أردت برغم خوفها عليك .. والدليل هو هذا »

ومدت معصمها كى ترى ذلك الخط الشبيه بالندبة ، وقالت :

- « ابنة أمها ستفعل ما كانت أمها ستفعل .. مغا سوف نجتاز هذا الخطر أو مغا سوف نفشل .. »

شعرت بأنها ملكة أكثر من أى وقت مضى ، وقد نهضت وأمسكت بيدها ، وقلت :

- « مستر (تريبلونى) .. أنا وابنتك شخص واحد فى هذا الموضوع .. »

بعد قليل جاء مستر (كوريك) ود. (ونشستر) .. بدا من ملاحظتهما أنهما مقبلان على أمر خطير بحق .. واجتمعنا في غرفة المكتب حول مستر (تريلونى) الذى نظر للطبيب ، وقال :

- « أنت الآن تعرف من مستر (كوريك) قدر ما نعرف ، فهل أنت مستعد لخوض هذه التجربة ؟ »

قال الطبيب :

- « أنا مهتم بشدة بهذه القصة الغامضة .. وأنا رجل علم مهتم بالظواهر الغريبة ، كما أننى وحيد بلا أسرة .. يمكنك الاعتماد على »

قال مستر (تريلونى) :

- « التجربة التى نحن بصدها هى معرفة ما إذا كان هناك شيء من الصواب فى السحر القديم .. لا توجد ظروف أفضل من هذه للاختبار .. عن نفسى أنا مؤمن بأن هناك حقيقة فى هذا .. بعد كل شيء ليست التوراة كتاباً خرافياً ، وهى تتحدث عن أن الشمس توقفت فى كبد السماء بأمر رجل ، وأن حماراً تكلم .. هذه الملكة ( تيرا ) ظلت مجهولة بالنسبة لكل من كتب عن التاريخ الفرعونى ، لكنها كانت ساحرة .. وما دامت ساحرة فإبنا شيطاناً Familiar بالتأكيد .. فهل فكر أحدكم فى شيطاتها ؟ »

هنا هتف الطبيب :

- « القط ! مومياء القط ! »

ابتسم مستر (تريلونى) ، وقال :

- « نعم .. كل شيء يؤكد أن شيطاتها كان القط الذى تم تحنيطه ودفنه معها .. ليس فى قبرها بل فى ذات التابوت معها .. هو ذات القط الذى مزق معصمى .. »

هتفت (مارجريت) :

- « إذن (سيلفيو) المسكين برىء .. حمداً لله ! »

- « واضح أن هذه المرأة كانت تتمتع بحدس خارق للعادة .. لابد أنها نظرت إلى الشمال وفتنتها نجوم كوكبة المحراث السبعة .. هكذا ولدت جوهرة النجوم السبعة التى اعتبرتها طلسم حياتها .. رقم سبعة كان الرقم السحري فى حياتها ولا غرو .. سبعة أصابع فى يدها وسبعة فى قدمها .. لقد ولدت مع فيضان النيل فى الشهر السابع من السنة ، وكانت ربتهها هى ( هاتور ) التى جمعت المكر والحكمة .. لو طبقنا التقويم الميلادى فالشهر السابع يبدأ عندما يكون نصل المحراث فوق طيبة .. تذكروا أن الفراعنة بلغوا مبلغاً يفوق علمنا فى علوم عدة ، ومنها الفلك والصوتيات المذهلة فى معبد الكرنك .. هنا نفحص الصندوق الذى وجدناه فى المقبرة بين قدميها والذى له سبعة جوانب ،

والذى أعتقد أنه صنع من نيزك سقط يوم مولدها .. هذا الصندوق غير قابل للفتح لأنه مغلق من الداخل ، فكيف انغلق ؟ وماذا يحويه ؟ أعتقد أنه يحوى أسراراً عظيمة .. ربما هى أسرار عرفها الفراعنة وتمت بصلة لسيطرتهم على الأعشاب .. ربما عرفوا وصفات سحرية لا نعرفها ، ولها قدرة سحرية على التنويم .. تذكروا أنني نمت ثلاثة أيام كاملة ومن قبل مرت علينا ثلاثة أيام فى المقبرة دون أن نشعر ..

« كانت الملكة تعد كل شىء لعودتها للحياة .. وعلى عكس العقيدة الدينية وقتها ، كانت تأمل فى أن تعود بلحمها ودمها .. وهو ما أثار غيظ الكهنة .. لاحظوا أن أوعيتها الكاتوبية خالية .. أعتقد أن أحشاءها لم تنزع قط ، ومخها لم يتم تفريغه كما هى العادة ..

« لماذا تركت الممر الذى يقود للمقبرة خالياً مع أن العادة جرت على أن يتم ملؤه بالحصى ؟ لأنها كانت تأمل أن تغادر القبر فى صورة امرأة جديدة وأرادت أن يكون الطريق مفتوحاً .. لنفس السبب وضعت السلسلة التى وصفها ( فان هوين ) لتتمكن من تسلق المقبرة إلى أعلى الجرف الصخرى .. »

## الفصل 13

### غرض الملكة ( تيرا )

- « الآن ماذا عن الجوهرة ؟ هناك كلمات معينة عند المصريين قيل إنها كلمات سرية أو ( حيكاو ) ، قدرة على استدعاء أرباب العالم السفلى والعلوى .. إن جوهرة النجوم السبعة منقوشة بالهيروغليفية فى موضعين وعليها تلك ( الحيكاو ) .. ولكن انتظروا لتروا بأنفسكم .. »

وغاب لمدة دقيقة أو اثنتين ، ثم عاد بصندوق ذهبى صغير .. على وسادة من ساتان أبيض كانت ياقوتة عظيمة الحجم وقد تمت صياغتها على شكل جعران .. وكانت سبعة نجوم تلتصق وسط اللون الأحمر المبهر .. بالفعل لها شكل المحراث .. هناك تعويذتان .. واحدة تقول ( الحب ) وهى تستعمل لاستدعاء أرباب العالم العلوى ، و( الصبر ) وتستخدم لاستدعاء أرباب العالم السفلى ..

قال مستر ( تريلونى ) :

- « إنى هى ظلت كل هذه القرون فى تابوتها تنتظر متذرة ( بالصبر ) الذى يستدعى أرباب العالم السفلى ، منتظرة ( الحب ) الذى يستدعى أرباب العالم العلوى .. هنا نأتى لأجراً استنتاج لى ..

هذه الهجمة على كان الغرض منها فتح الخزانة وإخراج جوهرة النجوم السبعة للعالم الخارجى .. إن حضورها النجمى كروح أو ( كما ) لا يقدر على إخراج الجوهرة من الداخل لأن الجوهرة ذات وجود مادي قوى .. هكذا استعملت الملكة حضورها النجمى وقوة شيطانها - مومياء القط - للحصول على المفتاح .. أنا أيضاً تذرت بالصبر فترة طويلة كي أجد الظروف الملائمة لفتح الصندوق وإعادة الملكة للحياة .. »

سألته ( مارجرى ) :

- « أبى .. ألم يكن الفراعنة يؤمنون بالبعث مرة واحدة لا أكثر ؟ أم أنهم آمنوا بتكرار البعث فى عدة عصور ؟ »

- « إن هو إلا بعث واحد فى عقائد الفراعنة .. لكن بينهم من اعتقدوا بالبعث فى عالمنا هذا .. »

قالت وقد لمعت الدموع فى عينيها ، وهى تنظر إلى الأفق كأنها تحلم :

- « أفهم هذه المرأة المسكينة التى امتلكت كل شىء عدا الحب .. ما من أحد يفهمها إلا امرأة .. أعرف الشعور لأننى جربته من قبل .. هذه الملكة كانت أعلى مما حولها .. أعلى من زمنها .. »

بدا الرضا على الأب ، وانتظر حتى هدأت عواطف ابنته ، ثم قال :

- « الآن دعونا نتكلم عن ذلك الصندوق الحجرى .. أنا مقتنع بأنه يفتح طبقاً لطريقة ضوئية ما .. هناك حقائق كثيرة نجهلها عن الضوء واعتقادى أنها أرض بكر للباحثين .. خلال السنوات الأخيرة عرفنا عن الضوء ما كان يكفى لإرسال المكتشفين للمحرقة منذ قرنين .. أشعة ( رونتجن ) .. الرادون .. أشعة ( بيكوريل ) .. الراديوم .. يمكن القول إن كل مصدر ضوئى له قوى خاصة به .. نحن نلاحظ أن نار البارافين تختلف عن نار الفحم أو نار زيت الحوت .. هنا فكرت فى الزيت الموجود فى أوعية الملكة ( تيرا ) الكاثوبية .. هذه الأوعية لم تصنع للاحتفاظ بأحشائها بل لغرض ما .. لقد فحصت هذه الأوعية وجدت أن هذا زيت خشب الأرز .. هنا خطر لى أنه مستخدم لملء المصابيح .. أنت تعرف أن زيت خشب الأرز كان يستعمل بكثرة فى طقوس الفراعنة وله خاصية انكسار فريدة .. نحن نستعمله فى المجهر لإعطاء رؤية أفضل .. لقد ملأت مصباحاً وأشعلته ووضعته جوار الصندوق .. كان التأثير مبهراً وقد بدا كأن الصندوق يتألق من الداخل ، بينما كان تأثير الضوء الكهربى محدوداً .. لقد طلبت كميات أخرى من هذا الزيت .. وسوف نرى .. »

قال الطبيب :

- « لنفرض أننا فعلاً نجحنا في فتح الصندوق بهذه الطريقة ..  
 ألا يتلف هذا ( ميكاتيزم ) الفتح فيما بعد ؟ »  
 كان شكه هذا ما دفعنا إلى التفكير في أشياء أخرى كثيرة ..

## الفصل 14

### الكهف

مر بنا الوقت .. مسرعاً في بعض الأحيان وبطيئاً  
 في بعضها .. كنت أفكر في التجربة المقبلة بكل ما فيها  
 من غموض ، شاعراً بحماقة من يعرضون أنفسهم  
 لخطر كهذا .. كل شيء غامض جداً .. كل شيء غير  
 ضروري !

حتى لو نجحت هذه التجربة فما جدواها ؟ وأية متاعب  
 لن تسببها ؟ ماذا سيحدث لو عرف الناس أن أبواب بيت  
 الموت ليست موصدة للأبد ؟ وأن الموتى قد يعودون للحياة ؟  
 ما تأثير نجاح هذه التجربة على معتقداتنا الدينية ؟ هل  
 تعنى هذه التجربة وجود قوى عليا أخرى غير التي  
 آمنت بها المسيحية ثمانية عشر قرناً ؟ سوف يعنى  
 هذا فرضية مفزعة لدرجة أن المرء لا يجسر على التفكير  
 فيها ..

ما الذى رآه الشاعر ( ملتون ) بعينيه الكفيفتين فى ضوء  
 الإلهام الشعري ؟

كان الموضوع أكبر منى لهذا كلفت عن التفكير ورحت أنتظر في صبر ما تسفر عنه الأمور .. احتفظت (مارجريت) بهدونها وقد حسدتها على هذا ، وإن اتسم باقي الرجال بالتوتر والعصبية ..

في ذلك المساء اجتمع بنا مستر (تريلونى) فى مكتبه .. وقد أرهفت السمع لما سيقول :

- « لقد توصلت إلى أنه كى ينجح ما أطلق عليه (تجربتنا الكبرى) فإن علينا أن ننزل .. ننزل بالكامل .. ليس ليوم أو اثنين بل لأى وقت نحتاج إليه .. هذا شيء عسير التحقيق فى هذه المدينة الكبرى حيث تقتحم خلوتك برقيات .. خطابات مسجلة .. بالإضافة لهذا تتركز عيون الشرطة على هذا المكان بعد ما حدث فى الفترة الماضية .. أضف لهذا أن الخدم الذين تركوا العمل سوف يتكلمون .. وسوف يعرف الخدم فى البيوت المجاورة بالأمر ، وبعدها سوف يتسرب الأمر إلى الصحافة . يجب أن نفكر فى العزلة ومن حسن الحظ أننى فكرت فى الموضوع منذ زمن ، وقد أعددت بيتى فى (كورنوال) لاستقبال التحف التى وضعتها هنا .. إنه مضاء بالكهرباء ومعزول تماماً .. وهو يقف فوق جرف صخرى خلف تل منحدر فلا يمكن رؤيته إلا من البحر .. لقد رتبت مع المحامى (مارفين) أن يعد كل شيء للنقل .. هناك قطار مخصص لنا سوف ينطلق ليلاً ، وقد أعد لنا عدداً من العربات والرجال لنقل متاعنا إلى (بلانجتون) ..

سوف نبدأ حزم أمتعتنا اليوم ويجب أن نكون مستعدين مساء غد .. مسز (جرانت) سوف ترتب رحيل الخدم إلى (كيليون) .. إن الخدم الذين بقوا مخلصون لنا بشدة ، وهذا يعود لمعاملة (مارجريت) الحسنة لهم .. »

هكذا بدأنا العمل .. كانت هناك حاويات عملاقة مدعمة بالخشب ووضعناها فى البيت ، كلاً جوار الشيء الذى ستحتويه .. لا أحد يستطيع أن يتخيل كم الجهد الذى يقتضيه عمل كهذا الذى قمنا به .. كل شيء تم تحت إشراف مستر (تريلونى) الذى كان يمسك بقائمة يسجل فيها موضع كل شيء ..

انتهى العمل تماماً فى وقت العشاء فى اليوم التالى .. وسرعان ما جاء موكب العربات قبل منتصف الليل بقليل .. تم نقل كل شيء ، وقد جينا البيت الذى تحول إلى فوضى بعد رحيل الخدم .. فى كل غرفة أكوام من الغبار والقش والقاذورات ..

آخر شيء قام به مستر (تريلونى) هو أن فتح الخزانة وأخرج منها جوهرة النجوم السبعة ووضعها فى جيبه .. قالت له (مارجريت) مشجعة :

- « لا تخف يا أبى .. ستمر رحلتنا بسلاسة .. ما دام جسدها النجمى يحوم حولنا فهى تعرف .. ولسوف تغمرنا بحمايتها ما دامت تعرف مهمتنا ! »

وركبنا سيارة أجرة إلى (بادنجتون) ..  
تم تحميل كل شيء في المحطة ، بينما ركبنا نحن عربات نوم ..  
وما إن تحرك القطار حتى نعمت بنوم هادئ .. شعرت بشكل ما  
أن ما قالته (مارجريت) بشأن عدم حدوث مشاكل له معنى ما ..  
وإن كنت عرفت فيما بعد سبب كونها متأكدة لهذا الحد ..

برغم هذا كانت هناك إشارة مقلقة لم نشعر بها لأننا كنا نياماً ..  
في الصباح أخبرنا أحد عمال القطار أن القطار كان في طريقه  
بين (دوليش) و(تيجنماوث) عندما أوقفته إشارة تحذير من  
شخص وقف على القضيب يلوح بمصباح .. وقد وجد السائق  
انهياراً أرضياً أمام القطار .. لقد تهاوى جزء من التربة الحمراء  
على جانب الطريق لكنه لم يبلغ القضبان .. وهكذا واصل السائق  
طريقه متضايقاً من التأخير ..

وصلنا (وسترسون) في التاسعة مساءً .. لم ننتظر لمراقبة  
عملية تحميل العربات لأن القائمين كانوا رجالاً أكفاء ، وانطلقنا  
بعربات تجرها الخيول إلى (كيلبون) ..

كان البيت عبارة عن بناء صخري رمادي عظيم يتلألأ في ضوء  
القمر .. وكان يقف فوق جرف صخري يطل على أمواج البحر ..

من الداخل كان البيت نظيفاً منسقاً لأن الخدم سبقونا واعتنوا  
به ، وقد اغتسلنا من وعشاء السفر وبدلنا ثيابنا ..

تناولنا العشاء في قاعة طعام جنوبية بينما صوت الأمواج  
لا يكف عن الهدير .. ثم دعانا مستر (تريلونى) إلى غرفة مكتبه  
التي كانت فيها خزانة كبيرة تشبه بالضبط خزائنه في بيت (لندن) ،  
ثم راح يتحدث في جيبه عن الجوهرة .. بدا عليه القلق وغمغم :  
- « رباه .. تبدو مختلفة . أرجو ألا يكون شيء خطأ قد حدث .. »

التفطنا حوله نحن الرجال ، بينما وفتت (مارجريت) هادئة ..  
كأنها تمثال .. كانت هناك نظرة بعيدة في عينيها كأنها لا تعرف  
أو تبالى بما يحدث حولها ..  
بحث (تريلونى) عن الجوهرة ، ثم سقط على المقعد ، وقال  
بصوت خشن :

- « رباه ! لقد اختفت ! ومن دونها لا قيمة للتجربة العظمى ! »

هنا أفاقت (مارجريت) ، فقالت :

- « ربما سقطت من جيبك في غرفتك يا أبى .. »

اندفعنا بلا كلام إلى الحجرة المجاورة ثم هبطت الراحة علينا ..

هناك على منضدة كانت جوهرة النجوم السبعة .. تلمع كأن  
النجوم حبيسة فيها ..

وسرعان ما حمل مستر (تريلونى) الجوهرة إلى الحجرة  
المجاورة وألقاها في الخزانة .. وتنفس الصعداء ..



هنا بدأت العربيات تصل .. وقمنا بترتيب كل شيء ووضع التحف في أماكنها ..

وفي الصباح - بعد ليلة هادئة - أعلن مستر (تريلوني) أن الخدم سيعودون إلى لندن هذه الليلة مع مسز (جرانت) ..

لما اتفرد بنا مستر (تريلوني) في مكتبه بعد هذا قال :

- « قبل أي شيء هناك سر نحفظ به منذ ثلاثمائة عام ، يقسم الناس أن يبقوه سرًا وهذا قسم لم يحدث به أحد قط ؛ لذا أطلبكم بأن تقسموا لي أن يظل هذا السر طي الكتمان .. »

أقسمنا له كما أراد ، فأردف :

- « هناك كهف في هذا البيت .. كهف طبيعي تحت البيت تم استكماله صناعياً .. ثم استعمل في التهريب في فترة من التاريخ .. »  
وغادر القاعة بضع دقائق ثم عاد وطلب منا أن نتبعه ..

كان هناك تمثال لملاك تمت إزاحته بعيداً ، وخلفه كانت فتحة حالكة الظلام .. ورأينا بداية درج .. مشينا خلف مضيقتنا فلم يكن الداخل مظلمًا تمامًا .. وبعد خمسين سلماً ملتفة وجدنا أننا في كهف عظيم .. كانت هناك بكرة معلقة أعلى المكان بدا أنها (ونش) يستعمل لإنزال أو رفع أثقال كبيرة ..

- « تلك هي البقعة التي اخترتها .. أو من أنها تحقق شروط هذه التجربة ونحن هنا معزولون كملكة نفسها في قبرها الحجري .. لو نجحت التجربة فنحن نقدم للعلم الحديث قبساً من نور لا ينفد من العلوم القديمة ، أما لو فشلنا فلسوف يقنى سر محاولتنا معنا .. »

أخذ مستر (تريلوني) شهيقاً عميقاً ، ثم بصوت أكثر مرخاً وأكثر تصميمًا قال :

- « والآن لنبدأ .. »

رحنا نرصد في أماكن حددها لنا (تريلوني) التابوت وأشياء أخرى من مقبرة (تيرا) .. كنت أشعر بأن (مارجريت) تغيرت نوعاً .. أرى فيها نوعاً من التصميم والقسوة وقد تقلصت شفتها في شكل خط رفيع لم أره من قبل .. رحت في سرى أتمنى أن تعود كما كانت وأن تفشل هذه التجربة بسرعة ..

في النهاية قال مستر (تريلوني) :

- « كل شيء في موضعه .. فقط بقى الانتظار حتى اللحظة المناسبة »

صمتنا جميعاً ، ثم قرر د . (ونشستر) أن يتكلم أولاً :

- « ما هي اللحظة المناسبة ؟ هل لديك تخيل تقريبي لها ؟ »

- « لقد فكرت فى يوم 31 يوليو .. »

- « هل لى أن أعرف السبب ؟ »

- « لأن الملكة كانت ستختار لعودتها الشهر الذى يسيطر عليه إله مسنول عن إحياء الموتى .. ( رع ) .. رب الشمس .. إنه ينهض فى الصباح كأنه يكرر معجزة البعث .. إنها اختارت لعودتها الشهر الرابع - وهو يتوافق فى بدايته مع 25 يوليو - لذا توقعت أن تنهض فى اليوم السابع .. أى الموافق 31 يوليو بتقويمنا »

هكذا صار علينا أن ننتظر يومين حتى يأتى ذلك اليوم

الموعود ..

## الفصل 15

### درس الـ ( كا )

فى تلك الأيام كنت قلقًا .. قلقًا على ( مارجريت ) ! لم يكن السبب أننى أشك فى حبها ولا أخلاقها ولا رقتها .. كنت أشك فيها هى !

كانت ( مارجريت ) تتغير ! فى لحظات بعينها كنت أشعر أن هذه ( مارجريت ) أخرى غير التى ركبت معها ذلك القارب .. ( مارجريت ) كثيرة الشرود ولكنها تتابع كل شىء ، وفى عينيها ذكاء مخيف ينفرنى منها .. ثم تثوب لرشدها فتقول لى كلامًا عذبًا كالذى اعتادت قوله ، لكنها تبدو مختلفة تمامًا .. كأنها تسمع بروفة مسرحية مكتوبة لها ..

بعد مرة أو اثنتين من هذه التجارب بدأت أتغير تجاهها وراحت علاقتنا تزداد برودًا .. باستثناء لحظات نادرة أدرك فيها أنها استعادت شخصيتها .. هذه اللحظات هى ما أبقى حبنى لها ..

كنت أتمنى أن أصرح أحدًا بأفكارى ، لكن من تصرح ؟ حتى أביها يستحيل أن يسمع لك .. لذا اكتفيت بالصبر والأمل .. وقد شعرت هى بتغير من جهتى ؛ لذا راحت تحاول أن تظل بقربى أكثر ساعات اليوم ، وهو ذات ما كنت أفعله أنا فى الماضى !

خرجت وحدي في المساء لأنني أردت أن أفكر ، وهناك في الظلام أطلقت العنان لشكوكي التي أخفيت عنها عن نفسي كل هذه الفترة .. كانت النتيجة مروعة لكنها منطقية جداً ..

(مارجريت) ولدت لأم ميتة في ذات الوقت الذي كان أبوها فيها في أسوان يفحص مومياء ملكة ساحرة .. ملكة قيل إنها قادرة على التحرر من قيود المادة لتمارس الانتقال النجمي .. هذا جعلها - برغم المسافة بين لندن وأسوان - قادرة على التأثير على الأم والطفلة معاً ..

لقد ماتت الأم وطفلتها ! الروح حلت بالجسد الصغير الميت ليبدأ حياته ..

لو كانت عقيدة الـ (كا) عند المصريين حقيقية ، فإن بوسع الـ (كا) والـ (خو) أن يحركا أي جسد يحلان به .. هكذا لا تكون (مارجريت) شخصاً على الإطلاق ، بل مجرد طور من أطوار الملكة (تيرا) ..

كيف أصدق هذا الكلام ؟ أصدق أنه لا توجد (مارجريت) ، بل مجرد صورة تحوى روح امرأة ماتت منذ أربعين قرناً ؟ برغم هذا صارت الصورة أوضح الآن .. تذكر أن (كوربك) قال إن (مارجريت) تشبه الملكة .. لا أصدق أن الأم (توحت) على صورة الملكة فهي لم ترها قبل أن تموت ..

لماذا اختفى كتاب (فان هيون) الذي قرأت فيه عن جوهرة النجوم السبعة ؟

لماذا وجدنا المصاييح في مخدعها ؟

ماذا عن شكوك الرقيب (دو) والطبيب في (مارجريت) ؟ ولماذا تتكلم (مارجريت) بهذه الثقة كأنها تعرف كل شيء عما يدور في عقل الملكة (تيرا) ؟

ذات مرة قلت لها وأبيها :

- « أليس من الحكمة أن نتخذ كل احتياطات ممكن في حالة ما لم تحب الملكة أن نعيدها للحياة ؟ »

كنت إجابة (مارجريت) سريعة ، إذ قالت وكتبتها تأهبت من قبل :  
- « لكنها موافقة ! أبي يفعل بالضبط وبكل جوانحه ما أرادته الملكة ! »

- « الظروف تختلف .. لقد أعدت تجربتها لتتم في الصحراء المنعزلة وفي بلدها .. لاحظي أنها قد لا تحب ما نقوم به ، عندها يجب ألا ننسى أنها قتلت أو تسببت في قتل تسعة أشخاص حسب ما نعرفه .. يمكنها أن تكون قاسية إذا أرادت .. »

قال مستر (تريلوني) :

- « يا صاحبي ، لا أنكر أن الملكة أرادت العزلة في تجربتها ، لكن هذا صار مستحيلا بعد ما فتح الهولندي ( فان هوين ) قبرها .. بالتالي لم أكن أنا من افتحم خلوتها ولا ذنب لي في هذا .. فقط أنا أحاول الاستفادة من خيط أحداث لم أكن البادئ فيه .. ولقد قمت بإعداد كل شيء كأحسن ما يكون ، فإن كان ثمة خطأ فهو لعجزى عن فهم جزء من الشفرات التي تركتها . أريد للتجربة العظمى أن تنجح مثلها بالضبط .. »

\*\*\*

أخذنا للنوم استعدادا ليلية الغد .. ستكون ليلة مقلقة وقد أراد مستر ( تريلونى ) أن نسترد قواتنا .. سيكون النهار كذلك علينا بالعمل ، لأننا يجب أن نعد كل شيء بحيث لا تفشل التجربة نتيجة ثغرات نسيناها ..

أعدنا كذلك العدة لطلب العون لو احتجنا إليه .. فى الواقع كانت مخاوفنا هنا أقل مما كانت فى لندن أثناء غيبوبة مستر ( تريلونى ) ..

كنت أقل خوفا من ( تيرا ) لأنه لو كان الأمر كما نتوقع ، فإن ما نفعله هو أن نحقق إرادتها .. ما كنت أخشاه هو حالة ( مارجرى ) .. لو كان صحيحا أنها تحمل شخصية مزدوجة ، فماذا عساه يحدث لو صارت الشخصيتان شيئا واحدا ؟ هذه

الفكرة كانت تدفعنى للجنون ، ولم يعزنى فى شيء كون ( مارجرى ) هادئة وكون أبيها مطمئنا .. إن الحب شيء أتانى وهو يلقى ظلأ أسود على أى شيء يقف بينه وبين الضوء ..

بدا لى أتنى أسمع صوت عقارب الساعة وهى تدور .. أرى كيف يستحيل الظلام للون الرماد ثم يستحيل الرماد إلى ضوء .. نهضت من فراشى .. ومشيت فى الردهة ، وكنا قد رتبنا أن يظل باب كل منا مواربا حتى يمكن سماع أى صوت من داخل الغرفة أو خارجها ..

كان الجميع نائمين فى سلام كما عرفت من صوت أنفاسهم ، وقد سررتنى أن هذه الليلة المرعبة قد مرت .. نزلت إلى حيث البحر وأنا أنتوى أن أسبح فى الماء البارد بعض الوقت كى أستعيد نفسى القديمة من جديد ..

وقفت أرمق الشمس وهى تشرق صابغة الصخور بلون الذهب .. برغم هذا شعرت بشيء من قلق لأن الضوء كان ساطعا أكثر من اللازم ، وهو ما ينذر بقدوم عاصفة ..

هنا شعرت بيد على كتفى من الخلف ..

استدرت فوجدت ( مارجرى ) .. ( مارجرى ) متألقة كمجد شمس الصباح ! ( مارجرى ) حبيبتى .. ( مارجرى ) القديمة بلا شيء يغيرها ..

لكن إذ عدنا بعد جولة قصيرة في المرتفعات ، بدا لى أن  
الكآبة والقلق والأمل ما زالوا بانتظارى ..

تناولنا الإفطار ثم عدنا إلى الكهف حيث كان مستر ( تريلونى )  
يرتب كل شيء .. كانت معه أوراق يراجعها ، وكما شرح لنا  
كانت هذه الأوراق تحوى النقوش التى نسخها مع ( كوريك ) فى  
وادي الساحرة فى مصر ..

شرح لنا أشياء لم تكن فى الورق .. مثلاً سوف ترقد المومياة  
بحيث يكون رأسها للشرق وقدمها للغرب لتتلقى تيارات الأرض  
الطبيعية .. هذا يعنى أن القوة المستخدمة نوع من الطاقة  
المغناطيسية .. ثم عرض علينا الخرائط التى رسمها لوضع  
النقوش والتابوت داخل القبر ، فطلبت منه ( مارجرىت ) أن  
يعيرها الرسوم لتدرسها ..

- « لقد زودت البيت بالتيار الكهربى ، بحيث أتأكد من أن كل  
ركن مضاء باستمرار .. إن التيار الكهربى يأتى من مولدين  
يعملان بوساطة أمواج البحر .. هكذا نتأكد من أن أى خطأ لن  
يحدث<sup>(\*)</sup> .. الآن علينا تحديد الساعة التى تتم فيها التجربة ..  
على قدر ما أعرف فإن كل الساعات تتشابه ، لكن يجب ألا ننسى  
أننا نتعامل مع عقل مدقق .. عقل امرأة تؤمن بالسحر وبأن كل

(\*) لاحظ أن التيار الكهربى كان اختراعاً وليداً فى عصر القصة ، ووجوده فى  
البيت يعنى مزيجاً من الثراء الشديد والدقة فى الإعداد .

شء له معنى مخفى ، فعلياً أن نفكر بدقة أكثر .. نحن نعرف  
أن للغروب دوراً مهماً فى الترتيبات .. فكر كذلك فى الرقم سبعة  
المهم بالنسبة لها .. من هذا يمكن أن نقدر أنها الساعة السابعة  
بعد الغروب .. وبما أنها تغرب فى ( كورنول ) فى الثامنة ،  
فإن لنا أن نفترض أن الساعة المختارة هى الثالثة صباحاً ! »

لاحظت شحوب وجه الرجال والصمت الذى ساد المكان بعد  
هذه الكلمات .. الشخص الوحيد الذى ظل كما هو كان  
( مارجرىت ) التى بدا أنها مسرورة جداً .. وقد تعلم أبوها لسبب  
ما أن سرورها علامة على دقة استنتاجاته ..

لقد بدا لى تحديد الساعة بهذه الدقة كأنه صوت القدر ..  
حينما أفكر فى هذا الموقف الآن أفهم كيف يشعر الرجل المحكوم  
عليه بسماع ساعة التنفيذ .. لا تراجع الآن ..

ملأنا المصابيح بالزيت وتأكدنا من أن الفتائل فى حالة طيبة ..  
كانت الساعة الرابعة فجلسنا لتناول غداء متأخر .. ثم اقترحت  
على ( مارجرىت ) أن تنام بعض الوقت كى تقاوم إرهاق الليلة ..  
تناولنا الشاي بعد الاستيقاظ فلحقت بنا ( مارجرىت ) ، وقالت  
لأبيها :

- « لقد رحت أدرس تلك الرسوم وما قلته لنا اليوم .. وأرى  
أن من الممكن أن تكون هناك قراءة أخرى ! »

سألها في قلق :

- « وما هي ؟ »

- « عند الغروب تدخل الـ ( كا ) إلى الـ ( أب ) .. أى أن الروح تدخل القلب .. ولن تغادره إلا مع الشروق .. أى أن هذه الليلة تظل صورة الملكة الحرة في قلبها . قلبها الفاتى الذى لا يستطيع ترك بقايا المومياء .. حينما تلمس الشمس الماء - أى وقت الغروب - ستكف الملكة عن التواجد ككائن واع ، إلى أن تشرق الشمس ثانية .. ما لم تستدعها التجربة العظمى .. أى أننا سنكون فى مأمن منها وقت التجربة لأنها ستكون مجرد جثة بانسة معدومة الحيلة .. »

واستدارت لتبتعد ورأيت للحظة فى عينيها أثر الدموع .. لكن أباه لم يرق لهذه الدموع .. كان يصغى بصرامة ذكرتنى بوجهه عندما كان تحت تأثير الغيبوبة ..

عدت لغرفتى للراحة بعض الوقت ، عندما طرق ( كوربك ) الباب وقال لى إن مستر ( تريلونى ) يريدنا فى الكهف حالا ..

هرعت إلى هناك ، ولحقت بنا ( مارجريت ) وقطها فى حضنها .. حينما رأى القط عدوه القديم - مومياء القط - حاول أن ينزل لكنها أحكمت السيطرة عليه ..

نظرت لساعتي فوجدتها الثامنة ..

قال الأب :

- « هل تؤمنين حقاً يا ( مارجريت ) أن الملكة ( تيرا ) قبلت بإرادتها أن تظل مجرد مومياء بلا حيلة إلى أن تتم التجربة ؟ »  
بعد صمت قالت ( مارجريت ) :

- « نعم .. »

لاحظت أن صوتها ونظراتها وكل شىء فيها قد تغير .. حتى القط لاحظ هذا فتملص من ذراعيها .. وللغرابة لم يهاجم مومياء القط بل انكمش خائفاً ثم زحف على ساقى ومسح نفسه مصدراً ( مياو ) مثيرة للشفقة ..

- « إن لو كنت أنت الملكة ( تيرا ) لحاولت إثبات هذه التجربة مهما حدث ؟ »

قالت فى ثبات :

- « نعم .. بأية طريقة .. »

ماذا يجرى هنا ؟ ثمة شىء مهم لكننا لا نفهم كنهه ..

اتجه ( تريلونى ) إلى الجهة الغربية ومزق ستاراً يحجب النافذة .. هب الهواء البارد ومعه بدا مشهد الغروب .. أشار إلى

حيث كانت الشمس تغطس فى ماء البحر ، وقال بصوت نُن أنساه حتى الممات :

- « اختارى .. تكلمى ! لو اضطرت للتخلى عن شيطانك فهل تقبلين ؟ لو غابت الشمس نهائياً يكون أوان التراجع قد فات ! »

- « متأكدة .. لو كنت فى مكان ( تيرا ) لتخليت عن كل شىء .. هذه الليلة للأرباب فقط .. »

ووقفت جوار مومياء القط ..

غابت الشمس وسقط الظل البارد على وجوهنا .. هنا استعادت كل لطفها ورقتها ، وقالت :

- « لقد غربت الشمس يا أبى .. ترى هل نعيش لنرى ليلة

أخرى ؟ لقد جاءت ليلة الليالى ! »

## الفصل 16

### التجربة العظمى

من الغريب أن ترى مدى ما بلغه تصديقنا للقصة ، وقبولنا لكلام ( مارجريت ) كأمر مسلم به ..

لقد تعاوننا مع مستر ( تريلونى ) على إنزال منضدة من خشب البلوط إلى الكهف .. وضعناها تحت مجموعة من الأضواء فى وسط الكهف .. نظرت لها ( مارجريت ) بعض الوقت ثم شحب وجهها ، وبصوت متوتر سألت :

- « ماذا ستفعله يا أبى ؟ »

- « سأفك مومياء القط .. الملكة ( تيرا ) لن تحتاج إلى شيطتها الليلة .. لو أنها احتاجت إليه فسوف نكون فى خطر .. »

- « فقط أفكر فى ( سيلفيو ) .. كيف يكون شعورى لو كانت موميأوه هى التى ستفك من أربطتها ! »

أحضر ( تريلونى ) مقصاً ومبضعاً .. شعرت بمعدتى تتقلص .. هذه بداية عملنا .. ماذا سيراه هذا الكهف عندما يمر منتصف الليل ؟ صوت الريح فى الخارج يزيد شعور الوحشة .. والأمواج تضرب الشط كأنها النذير .. لكننا بدأنا فك المومياء ..

كان عدد الأربطة خيالياً .. وقد تم لصقها بالصمغ والقار .. تصاعد غبار أحمر عذب حواسنا أكثر .. أخيراً رأينا الحيوان جالساً أمامنا وكانت أسنانه ومخالبه سليمة .. وكانت عيناه مغمضتين لكن وجهه لم يكن مفرغاً كما توقعت .. كان ضخماً كأنه نمر صغير .. وكلما نظرنا له أكثر بدأنا نشعر بالرعب .. فهنا تجد الدليل على أن مخاوفنا حقيقية ..

كان فمه ملطخاً بدم جاف !

أخرج د . ( ونشستر ) عدسة وراح يفحص مخالب المخلوق ، ثم قال :

- « كما توقعت .. فى يده سبعة أصابع ! »

حمل ( تريلونى ) المخلوق واتجه للباب ، فصاحت ( مارجريت ) :

- « خذ الحذر يا أبى .. قد يؤذيك ! إلى أين أنت ذاهب ؟ »

- « إلى المطبخ يا بنيتى .. إن النار قادرة على القضاء على

أى خطر .. حتى الجسد النجمى لا يتجسد من رماد .. »

أطلقت شهقة وبدأت تبكى فكدت ألحق بها ، لكنها أشارت لى

كى أبتعد :

- « اذهب مع الآخرين للمطبخ .. قد يحتاج لك أبى .. يا للحيوان

المسكين ! قط الملكة المفضل ! هذه جريمة قتل ! »

فى المطبخ كانت هناك كومة من الأخشاب .. أشعل مستر ( تريلونى ) النار فيها وألقى جسد القط .. فى لحظات صار الجسد كتلة سوداء وسط اللهب وامتلأت الحجرة برائحة الشعر المحروق .. مواد التحنيط صارت وقوداً بدورها وسرعان ما اشتعلت ..

لقد تلاشى شيطان الملكة ( تيرا ) !

عدنا إلى ( مارجريت ) التى كانت جالسة فى الظلام .. وسألتنا :

- « ماذا سنفعل الآن ؟ »

قال الأب :

- « سوف نفك الأربطة عن الملكة ( تيرا ) ! »

دنت منه ، وهمست :

- « أبى .. أنت لن تفعل هذا .. كلكم رجال وهذا الضوء يكشف كل

شئ .. تصور يا أبى .. امرأة .. وحدها .. فى هذا المكان .. »

ربت على كتفها مواسياً ، وقال :

- « ليست امرأة يا بنيتى بل مومياء .. لقد ظلت ميتة خمسة

آلاف سنة ! »



- « المرأة هي المرأة حتى لو بعد خمسة آلاف قرن .. ثم إنك تقول إنها ستنهض .. إذن هي ليست ميتة فعلاً .. »  
- « هذه ليست مسرة بل هي تجربة مروعة قد تغير وجه الكون .. وهناك أخطار داهمة قد تمس كل شخص هنا .. نحن لا نلعب بل بصدد مسألة شديدة الخطر .. »

قبلته ، وقالت :

- « افعل ما تراه يا أبى وإن كنت أعتبرها إهانة عظيمة لملكة وامرأة .. »

هكذا تعاوننا على فتح التابوت وأخرجنا المومياء .. كانت طويلة القامة عريضة ثقيلة .. لكننا نجحنا في نقلها إلى المنضدة ..

وبدأنا في فك الأربطة .. كانت كثيرة جداً .. وبرغم هذا كانت تكشف عن الجسد البشرى الذى بدا فى أرهب حالاته وهو مغطى .. كان ما نراه هو الموت ولا شيء سواه ..

كان المستكشفان قد قاما بهذا العمل كثيراً وكان الطبيب بحكم عمله معتاداً هذه الأمور ، لكنى أنا المحامى وقفت شاعراً بالعار والألم والاشمئزاز .. لم أتدخل فى العملية ، لكن كومة الأربطة راحت تتجمع على الأرض عالية مهولة ..

لقد بدأ حجم المومياء ينكمش إلى المقاييس البشرية العادية ، وكان الأب ينزع آخر الأربطة الآن .. ثم نظر لابنته ، وقال :

- « لا تقلقى .. الملكة ترتدى روبا ! »

كانت الملكة مدثرة من القدمين حتى الذقن فى ثوب حريرى لاشك فى أنه أفخم نوع من الحرير رآته عيوننا .. وقد ضم إلى العنق والقدمين بحلية من ذهب ، كما كانت تحيط بالجسد حزمة من الجواهر .. حزمة تبدو من وهجها كأنها نجوم حبيسة ..

نظرت (مارجريت) إلى المشهد ، ثم وقفت وقالت بلهجة العليم :

- « هذا ليس كفنًا .. لم يقصد به تغطية الموت .. إنه ثوب زفاف ! »

تفحص (تريلونى) الثوب وعرفت من تلاحق أنفاسه أنه مندهش ، ثم قال :

- « بالفعل هذا ليس كفنًا .. إنه لا يلتف حول الجسد بل وضع فوقه .. »

ومد يده يحمل الثوب فى رفق بين يديه .. شيء بهذا الجمال لا يمكن التعامل معه إلا بحذر ..

ووقفنا ننظر إلى الملكة رائعة الحسن الراقدة أمامنا مجردة .. لم يكن هذا يشبه الموت بأى حال .. كان أقرب إلى تمثال من عاج نحتته (براكستيلس) .. لا شيء من أنكماش المومياءات وجفافها .. اللحم ممتلئ محتفظ بنعومته ومسامه .. هنا - فى

مزيج من غضب وحياء - ألقّت (مارجريت) الثوب على الجسد العارى حتى لم يبق منه مكشوفاً إلا الوجه ..

أنف منىء بالكبرياء ، وأهداب ترقد فوق الخدين .. شعر أسود كجناحي غراب . لقد أذهلنى شبيها الشديد مع (مارجريت) برغم أن كلمات (كوريك) السابقة جعلتنى أتهياً لهذا ..

هنا اتهار (تريلونى) فهرعت (مارجريت) تساعده .. قال لها :

- « أشعر كأن هذه جثتك يا طفلتى ! »

ودوت العاصفة بعنف فى الخارج ، على حين قال :

- « يجب معرفة طريققتها فى التحنيط .. هذه ليست كآية طريقة أعرفها ، ولم يتم إفراغ الأحشاء .. إن الأوردة ممتلئة ليس بالدم لكن بشيء آخر .. هل يكون القوم وقتها قد تعلموا حقن الأوردة بشمع البارافين ؟ »

رحنا ننتظر فى المكتبة متوترين ، فقد بقيت ساعتان على موعد التجربة .. الساعة السابعة بعد الغروب أى الثالثة صباحاً .. استراحت (مارجريت) فى غرفة أبيها ، وعندما دقت الساعة الثانية صباحاً بدا أننا نفيق من غيبوبة .. أعدنا أجهزة الاستنشاق التى قدرنا أننا سنكون بحاجة لها لو اتبعث غاز سام ما ..

وضعنا اليد المبتورة فى موضعها الصحيح فوق صدرها .. تحتها كانت جوهرة النجوم السبعة ، التى جلبها مستر (تريلونى) من الخزنة .. بدت كأنها تتألق بلا توقف فى الضوء الكهربى ..

وضعنا أجهزة الاستنشاق وجلسنا كما اتفقنا .. كنت أقف جوار محول الكهرباء لأظلم الأنوار أو أشغلها حسب أوامر مستر (تريلونى) ، وكانت أوامره لى مرعبة وتحذيره أخطر .. قال إن موت أحدنا قد يحدث بسبب عدم التزامى حرفياً بتعليماته ..

كان على مستر (تريلونى) و(كوريك) التأكد من إضاءة المصباح الزيتية .. وليقف الأول عند رأس والثانى عند قدم التابوت .

كان مرور الدقائق الباقية مرعباً .. إذ وقف مستر (تريلونى) ينظر لساعته والثقب فى يده كأنه مدفعجى فى الحروب الغابرة ..

ثم دق الجرس .. مرة .. مرتين . ثلاثاً !

اشتعلت فتائل المصابيح وأطفأت النور الكهربى .. لقد اتخذت الغرفة شكلاً مرعباً وبدا كأن كل شيء يتبدل ..

وانتظرنا وقلوبنا تخفق .. على الأقل أعرف أن قلبى فعل ذلك .. مصاريع النوافذ ترجها العاصفة كأن شيئاً بالخارج يحاول الدخول .. كأن الزمن توقف ...

فجأة دوى صوت كالانفجار وانفتح الصندوق الحجرى ..

لا شك فيما يحدث الآن .. تحرك الغطاء للجانب ثم بدأ يرتفع ببطء .. ومن الصندوق بدأ بخار يتصاعد متجهًا نحو التابوت .. لم أستطع معرفة الرائحة بسبب جهاز الاستنشاق لكنى خمنت أن له رائحة نفاذة غريبة .

لم أعد أدري إن كان الصندوق يتألق أم هو التابوت .. وكان الدخان يزداد كثافة متجهًا نحو المومياء ..

لم أستطع فهم ما يحدث لأنى كنت بعيدًا ، وودت لو اقتربت لأرى لكنى تذكرت تحذير مستر ( تريلونى ) لى ..

العاصفة تتزايد حتى بدت لى كأنها شخص حتى غاضب .. خيل لى أن شيئًا أبيض يرتفع من التابوت ، لكن عيني كانتا منهكتين من الوهج الأبيض فلم أثق بهما البتة ..

شيء يشبه الضباب ووسطه أرى تلك الجوهرة .. والضوء يسبح من هذا الضباب إلى الصندوق .. إنها معجزة الضوء !

هنا كانت العاصفة قد انتصرت ، وسرعان ما اندفع تيار من الهواء ليفتح مصراع النافذة ويرتطم بالجدار ، ثم انطقت المصابيح كلها وتبدد الضباب الأخضر ..

بدأ دخان أسود يتصاعد من الصندوق .. ازداد كثافة حتى صارت الرؤية فى الكهف كله عسيرة .. أشار مستر ( تريلونى ) لـ ( كوربك ) فأسرع يحاول إغلاق المصراع من جديد ..

كنت أتمنى أن أساعد لكن مكاتى جوار محول الكهرباء كان أكثر أهمية .. سوف يكون للضوء أهمية كبرى لو استمر هذا الجحيم ..

إن الظلام يتزايد .. ويبدو أن أضواء الصندوق تضعف بلا توقف .. كما أن المصابيح كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

الضباب يتزايد .. والرائحة تمزق أنوفنا وعيوننا ..

ثم بدأت أرى شيئًا يتحرك من موضع التابوت .. استطعت أن أرى لمحة من اللون الأبيض .. وساد الظلام أخيرًا ..

كان هذا هو الوقت المناسب للكلام ، فقلت بصوت عال :

- « هل أعيد الأضواء يا مستر ( تريلونى ) ؟ »

لا إجابة ..

- « مستر ( تريلونى ) .. سوف أعيد الضوء .. لو لم تمنعنى

من ذلك .. »

لم تكن هناك إجابة لذا شغلت المحول .. لكن الضوء الكهربى لم يعد ! ثمة خطأ جسيم هنا !

اتطلقت قاصداً الدرج لأعرف السبب ، لكنى لم أر شيئاً .. كان الظلام دامساً ..

مشيت عبر الغرفة إلى حيث (مارجريت) لكنى تعثرت فى جسد على الأرض .. شعرت من ثوبها أنها امرأة .. سقط قلبي فى قدمي .. (مارجريت) فاقدة الوعي أو ميتة .. رفعت الجسد فى يدي ومشيت حتى اصطدمت بجدار .. ثم إلى ممشى وأخيراً وجدت درجات سلم . وصعدت الدرج تحركنى عواطفى مما جعلنى لا أشعر بثقل هذا الجسد العزيز الذى أحمله ..

أرقدت الجسد على أرض الصالة وهرعت لغرفة (مارجريت) حيث أعرف أن هناك أعواد ثقاب .. أشعلت ثقاباً وشعرت بسرور لأننى أرى النور من جديد ..

أشعلت شمعتين وعدت للردهة بحثاً عن مارجريت .. لكن جسدها لم يكن هناك !

فقط كان ثوب العروس الخاص بالملكة (تيرا) على الأرض .. وحيث كان القلب وجدت جوهرة النجوم السبعة .. شعرت بغثيان ورعب لا اسم له ..

عدت إلى الكهف والشمعتان فى يدي .. وضعت جهاز الاستنشاق على فمى وبحثت عن رفاقى .. وجدتهم جميعاً حيث تركتهم ..

ممددين على الأرض يحدقون فى السقف بعيون شاخصة من الذعر ..

(مارجريت) غطت وجهها بيديها لكن نظرة الهلع فى عينيها الزجاجيتين كانت تبدو بين أناملها ..

فتحت مصراع النافذة لأسمح للهواء بالدخول .. كانت العاصفة تخدم بسرعة كما بدأت .. لقد أنهت عملها !

حاولت ما أستطيع مع رفاقى لأنقذهم لكن بلا جدوى .. هنا فى هذا البيت المقفر بعيداً عن عون البشر ، انتصر الهلاك .. ومن رحمة الله أننى لم أضطر لتحمل عذاب الأمل ..

برام ستوكر 1903

## النهاية الثانية التي ظهرت في طبعة عام 1912

( تبدأ من اللحظة التي صارت فيها الساعة الثانية صباحاً )

بدا أن صوت دقات الساعة معلنة الثانية صباحاً قد أتعشنا جميعاً .. كان كل الظلال التي أحاطت بنا قد زالت فجأة ..

بدأنا نمارس مهماتنا في نشاط ويقظة .. .. أعدنا أجهزة الاستنشاق التي قدرنا أننا سنكون بحاجة لها لو انبعث غاز سام ما .. ثم إننا نقلنا مومياء الملكة ( تيرا ) إلى أريكة في غرفة الأب ، وغطيناها بملاءة بحيث لو نهضت يكفيها الانزلاق من تحتها ..

وضعنا اليد المقطوعة في مكانها على صدر المومياء ، وتحتها جوهرة النجوم السبعة ، التي جنبها مستر ( تريلوني ) من الخزانة .. بدت كأنها تتألق بلا توقف في الضوء الكهربى ..

كان مشهداً غريباً أن ترى هذه المجموعة من الرجال الصامتين يحملون هذا الجسد الذى يبدو كتمثال من عاج .. وضعناه على الأريكة ..

كان الشبه بين ( مارجرى ) والمومياء قد أثار ذهولنا ، خاصة مع شحوب ( مارجرى ) الشديد ..

وعندما لم يبق من الوقت إلا القليل طلبت ( مارجرى ) منى أن نأتى بـ ( سيلفيو ) .. جاء إليها وهو يقر فاحتضنته إلى صدرها .. أغلقت باب الغرفة وراعنا شاعراً بشعور مقبض بالنهاية .. لن تكون هناك عودة ..

وضعنا أجهزة الاستنشاق ، واتخذنا أماكننا التي رتبناها ..

دوت دقات الساعة فبدا أنها تضرب قلوبنا ..

مرة .. مرتين . ثلاثاً !

اشتعلت فتائل المصابيح وأطفأت النور الكهربى .. لقد اتخذت الغرفة شكلاً مرعباً وبدا كأن كل شيء يتبدل ..

وانتظرنا وقلوبنا تخفق .. على الأقل أعرف أن قلبى فعل ذلك ..

أرى ثوب ( مارجرى ) الأبيض وحده وسط الظلام وأرى أجهزة الاستنشاق على الأنوف .. أرى فك مستر ( تريلوني ) المربع ووجه ( كوربك ) للحلق .. وعبر الغرفة أرى عيني ( سيلفيو ) كزمرتين ..

الآن صار الضوء أكثر ثباتاً .. وبدا كأنه يتغير من الأزرق إلى الأبيض الشفاف ..

فجأة دوى صوت كالانفجار وانفتح الصندوق الحجرى ..

لا شك فيما يحدث الآن .. تحرك الغطاء للجانب ثم بدأ يرتفع ببطء .. ومن الصندوق بدأ بخار يتصاعد متجهاً نحو التابوت .. لم أستطع شم الرائحة بسبب جهاز الاستنشاق لكنى خمنت أن له رائحة نفاذة غريبة .

ازداد الدخان كثافة فلم أعد أرى ( تريلونى ) ولا ( مارجرىت ) ..  
ولاحظت أن المصابيح أوشكت على الانطفاء .. هذا غريب ..  
لا بد أنها استنفدت وقودها فى فترة أقصر مما توقعنا ..

انتظرت وانتظرت .. متوقعا فى كل لحظة أن أسمع الأمر  
بإضاءة النور لكن لا شىء من هذا ..

وما زال الدخان يتصاعد بكثافة من التابوت .. بينما المصابيح  
تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

أسمع صوت مواء ( سيلفيو ) المثير للشفقة وأرى لمحات من  
ثوب ( مارجرىت ) التى فاق قلقي عليها الوصف ..

شعرت بـ ( سيلفيو ) يتمسح فى ساقى .. ثم تلاشى آخر قبس  
من الضوء ، فلم يبق إلا بياض خفيف حول ستائر النافذة ..  
نزعت جهاز الاستنشاق ، وصحت :

- « هل أعيد الأضواء يا مستر ( تريلونى ) ؟ »

لا إجابة ..

- « مستر ( تريلونى ) .. سوف أعيد الضوء .. لو لم تمنعنى

من ذلك .. »

لا إجابة ، لكنى عبر الغرفة سمعت صوت ( مارجرىت ) يتكلم  
فى رقة وعذوبة كأنه الجرس ..

- « نعم يا ( مالكولم ) .. »

حركت المحول فعانت الأضواء .. لكنها كفت مجرد جزر ضوئية  
وسط بحر من الظلام .. جريت نحو ( مارجرىت ) مهتديا بثوبها  
الأبيض واعتصرت يدها فى يدي ، ولقد أدركت لهفتى ، فقالت :

- « أنا بخير .. »

- « الحمد لله .. لكن أين الآخرون ؟ تعالى نفتح النوافذ ليخرج  
هذا الدخان .. »

لهشتى قالت فى طريقة ناعسة :

- « سيكونون على ما يرام ولن يصيبهم أذى . »

لم أسألها عن مصدر استنتاجها وفتحت النوافذ والباب .. سرعان  
ما بدأ الدخان الأسود يخرج من النوافذ وبدأت أرى معالم الغرفة ..

جوار الأريكة كان د . ( ونشستر ) على ظهره .. وعلى الجهة  
الأخرى من التابوت رقد مستر ( تريلونى ) و ( كوربك ) ..  
وسررتى أنه برغم فقدانهم الوعي كانوا يتنفسون بصعوبة ..

( مارجرىت ) كانت فى حالة من الاضطراب ولكنها ساعدتني على  
حمل أبيها إلى جوار نافذة من النوافذ .. وكذا فعلنا بالباقيين ..

حتى اللحظة كانت مشكلتى هى إعادتهم للوعي ، والآن وقد  
بدعوا يفيقون بدأت أتساءل عما صار إليه مصير هذه التجربة ..

كان الصندوق مفتوحا وقد بدا واضحا أنه مقسم من الداخل ،  
لكن كل محتوياته تحولت إلى سناج أسود .. كذا كان التابوت ..

كل شىء فى الغرفة تحول إلى سناج لزج ..

كانت الملاعة على الأريكة كما هي لكنها أزيحت جانباً كما يفعل المرء عندما يغادر الفراش ..

لكن لا أثر للملكة (تيرا) !

وضعت يدي على كتفي (مارجريت) ، وهمست لها :

- « ماذا حدث للملكة ؟ قولي لي .. أنت كنت قريبة ورأيت كل

شيء .. »

قالت في نعومة :

- « لم يكن هناك شيء يمكن أن أراه .. ظلت عيناى على

الأريكة حتى ازداد الدخان كثافة .. شعرت بحركة قريبة منى

وخطر لى أن هذا د . (ونشستر) ، ثم فكرت فى أنها الملكة

تمشى ! تخليت عن (سيلفيو) ولا أعرف أين ذهب .. »

كأنما يرد عليها جاء (سيلفيو) ومسح نفسه فى ثوبها فحملته

بين ذراعيها ..

عندما عاد مستر (تريلونى) لوعيه وبعده مستر (كوربك)

رحنا نفتش الغرفة بعناية .. لم نجد إلا بعض الغبار له رائحة

غريبة تذكرك بالموت .. على الأريكة كانت الجوهرة التى تضعها

الملكة فى شعرها ..

فيما عدا هذا لم نعرف قط ما حدث .. لكن شيئاً واحداً جعلنا

نرجح تدمير المومياء .. إن الغبار الذى وجدناه هو ذاته الغبار

الذى تبقى بعد عملية حرق مومياء القط ..

\*\*\*

فى الخريف تزوجت (مارجريت) ..

وقد ارتدت فى حفل الزفاف ذات الجواهر التى كانت الملكة

تضعها فى شعرها .. وعلى صدرها ارتدت قلادة من ذهب تحمل

جوهرة النجوم السبعة .. كانت الشمس تلتمع عليها فتألق كأنما

تنبض بالحياة ..

اعتدنا أن نفكر فى الملكة العظيمة ولطالما تكلمنا عنها .. قلت

لزوجتى إننى حزين لأن الملكة لم تخط لعالم جديد وحياة جديدة ،

فوضعت زوجتى يديها بين يدي ، وبدت فى عينيها تلك النظرة

الحالمة ، وقالت :

- « لا تحزن من أجلها ! من يدري ؟ لربما وجدت السرور

الذى كانت تبحث عنه .. الحب والصبر هما سبب سعادة الكون ..

فى هذا العالم .. فى الماضى .. فى الحاضر .. لقد حلمت

حلمها ، وهذا هو كل ما يطمح له أى واحد فىنا .. »

برامستوكر 1912